الجمهوريـــــــــة الجزائريـــــة الديمقراطيـــــة الشعبيـــــة
وزارة التعليـــــم العالـــم والبحـــث العلمـــي
جامعـــة العربـــي بن مهـــيدي- أم البواقي-

كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية
قســـــم اللغـــة والأدب العربـــــي

تطـور ظاهـرة الإعـراب في الـدرس اللغـوي العربـي

دراســـــة تـــاريـــخيـــة

مذكـــرة مكمـــلة لنيـــل شهـــادة الماستـــر في ميـــدان اللغـــة والأدب العـــربي، مسار (علـــوم اللغـــة العربيـــة)

إعـــداد الطالبـــة:
كـــلاش حنيفـــة

إشـــــراف الأستـــاذ:
أستاذ مساعد(ب)
بوعسلـــة هانـــي

السنة الجامعية: 2012/2011م
1432 / 1433 هـ

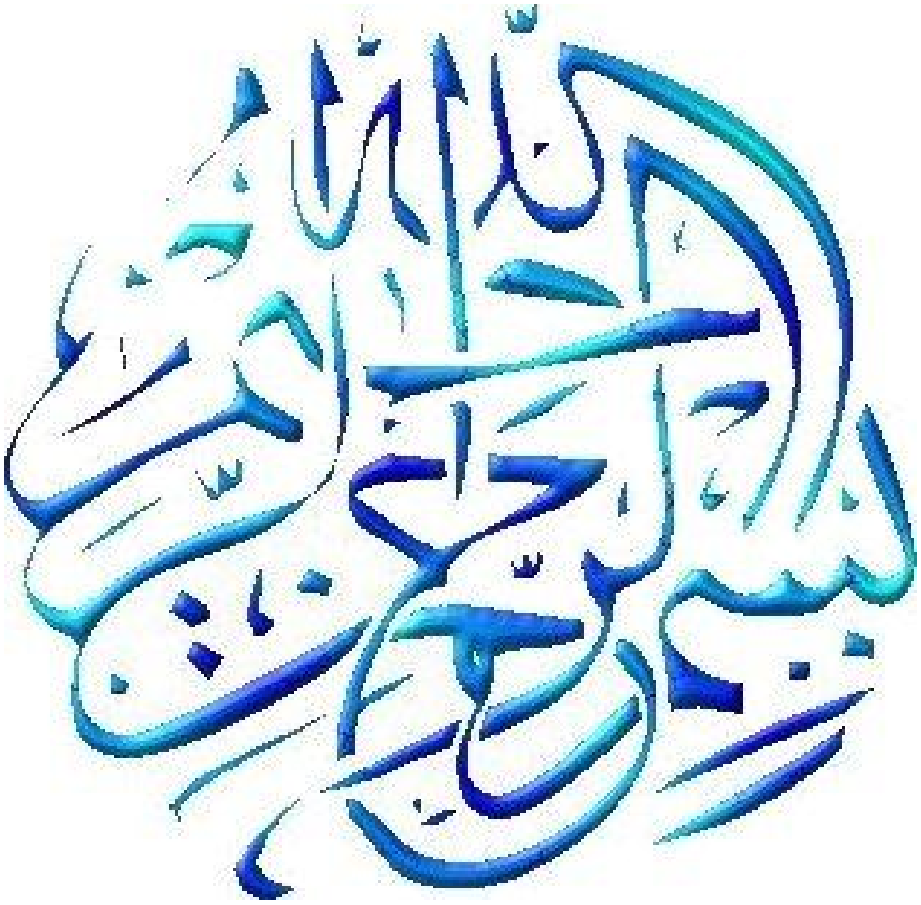

﴿يرفع الله الذين آمنوا
منكم والذين أوتوا العلم
درجات﴾

صدق الله العظيم

شكر وعرفان

يسرني وأنا أضع اللمسات الأخيرة لهذه الدراسة المتواضعة والتي أتمنى أن تكون بادرة خير لدراسة أعمق وأشمل أن أتقدم بجزيل الشكر وفائق الاحترام وشديد الامتنان إلى الأستاذ المشرف بوعسلة هاني على المساعدات والإرشادات التي قدمها لي.

كما أتقدم بالشكر والعرفان وخالص التقدير والاحترام إلى جميع أساتذتي الكرام الذين ساهموا في تكويننا المعرفي والعلمي وخاصة الأستاذ شافعي بديار، الأستاذ سالم عبد الباسط والأستاذة حفناوي شيخة وهندة كبوسي.

وأشكر جزيل الشكر مدير المدرسة الابتدائية عمارة بن خضرة مخلوفي رشيد والأستاذة حشاني وسيلة التي وظفت فيها وكل أساتذتها على الدعم المعنوي.

كما أتقدم بالشكر الجزيل كل عمال المكتبة المركزية بجامعة تبسة ومكتبة الجيش العسكري بقسنطينة.

ولا تفوتني فرصة تقديم الشكر لمن أعانني من قريب أو بعيد لإنجاز وإتمام هذا العمل المتواضع.

مقـــــــدمـــــــة

إن اللغة العربيـــة هي لغة القرآن والـــحفاظ عليهـــا حصن له من الفساد والخطل والقرآن كتاب جمع خصائص اللغة العربية على جميع المستويات اللغوية، لذلك أقيمت من أجل حماية اللغة دراسات وبحوث لغوية عديدة. الهدف من جميعها استقراء واستنباط قواعد وأسس دقيقة تضمن بقاءها على مر العصور مكتنفة سماتها والتي من أهمها **الإعراب** حيث يعد **الإعراب** من أبرز الظواهر اللغوية في العربية الفصحى، فقد اقترنت به الفصحى واقترن بها، بحيث أصبح ذكر أحدهما مدعاة إلى استدعاء الآخر وصارت إجادة الإعراب، والبراعة فيه من أدّل الدلائل على إجادة الفصحى والبراعة فيها، كما أن الخطأ فيه أظهر ما يستلفت الغيورين على اللغة العربية ويثير قلقهم على تراثها ومستقبلها ولأمر ما كان الخطأ في **الإعراب** قديما هو أول الأسباب الداعية إلى وضع علم النحو كله خوفا على العربية، وحرصا على كتابهم الكريم أن يتطرق إليه لحنا أو يستشرى في لغته فساد وليس ثمة من عجب أن يتحمل النحاة الأوائل في سبيل ذلك ما تحملوا من عناء ومشقة وبحسبهم الحفاظ على القرآن، وهو غاية ترجـــى ومطلـــب يراد حيث أوصـــى الرسول – صلى الله عليه وسلم– بقراءة القرآن معربا فهل كان مصطلح **الإعراب** (النحوي) متداولا في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم–؟ مع العلم أن المصطلحات النحوية لم توضع إلا في عهد **أبو الأسود الدؤلي** و**الخليل بن أحمد الفراهيدي.** إذن فهل لإعراب عدة معاني أو مدلولات أو هي الكلمة ذاتها تعرضت لتغيرات وتطورات في مراحل تاريخية متزامنة؟ وهل ظهر دفعة واحدة علم مستقل بذاته؟ وما هي أهم وظائفه التي يقوم بها اتجاه النحو خاصة واللغة عامة؟ وما هو أثره بالرتبة من ناحية التقديم والتأخير وكيف يشوش ذلك على الرتبة إذا كان هناك لبس في الجملة؟

وللإجابة على كل هذه الأسئلة قمت بهذا البحث، خاصة وأن مصطلح **الإعراب** اختلفت فيه الرؤى العلمية بين الرؤيا الفسيحة لإعراب التي نجدها في مؤلفات العلماء الأصلاء والعلماء المتأخرين الذين حصروا مصطلح **الإعراب** في خان ضيق، خاصة نحن أبناء هذا الجيل لا نعرف من **الإعراب** إلا المعنى النحوي الخاص به أي **الإعراب**

التطبيقي الذي نأخذ منه نموذجا في فصل من كل سنة دراسية، كل هذا أدى بنا إلى محاولة البحث في **الإعراب** من حيث هو علم نظري.

ومن المؤكد أن اختياري لهذا الموضوع بالذات نابع من رغمة جامحة لفهم كلام القدماء من خلال التراث الضخم الذي خلفوه لنا وإن كان ذلك صعبا، كالخائض بحرا تتلاطم أمواجه كما قيل عن كتاب **سيبويه** وبالتالي تكوين فكرة عن النحو العربي عامة وفي **الإعراب** خاصة، يضاف إلى ذلك رغبتي في الإطلاع على كتب ومصنفات نحوية.

أما فيما يخص الأسباب الموضوعية فهو كالتالي:

– قلة الدراسات حول النحو العربي وغياب الدراسات الأكاديمية حول ظاهرة الإعراب.

فقد بني هذا البحث على **مدخل** و**ثلاثة فصول** بعد مراجعتي ما أتيح لي من أمهات الكتب النحوية واللغوية، اتبعتها بكتب حديثة أو معاصرة م ميسرة، برزت منها إشكالية الإعراب قديما وحديثا، وبعد غربلة المادة اللغوية العلمية قمت بدراستها، فموضوع بحثي " **تطور ظاهرة الإعراب في اللغة العربية** " ما هو إلا استخلاص واختصار لرأي أو نظرية من نظريات علماءنا الأجلاء، وقد أشار إلى فكرة هذا البحث **سليمان ياقوت** في كتابه **ظاهرة الإعراب في النحو العربي**، وتطبيقها على القرآن الكريم.

وكما قلنا سابقا أن هذا البحث قسمته إلى مدخل وثلاثة فصول يبدأ كل فصل منها بتمهيد وينتهي بخاتمة أعرض فيها ومن خلالها أهم النتائج المتوصل إليها.

أبان المدخل عن نشأة **اللغة العربية**، ثم الوقوف إلى تعريف مصطلح **الإعراب** سواء منها ما كان له **صلة بالمعاجم**، أو **القرآن الكريم** أو **الحديث النبوي الشريف**، أو ما تناقله الرواة من كلام العرب على مختلف طبقاتهم والمعنى الذي أتى به في كل منهم.

وأشير أن دراستي في هذا البحث اعتمدت فيها على منهج وصفي تاريخي وذلك لأن طبيعة عنوان الدراسة فرضت هذا المنهج في الفصلين **الأول** و**الثاني**.

أما **الفصل الأول** المعنون ب "**ظاهرة الإعراب اتجاه النحو خاصة واللغة عامة**" فقد خصص للحديث عن نشأة الدراسات اللغوية العربية بحيث اختلف العلماء منذ القدم حول نشأة اللغة فمنهم من قال بأنها توفيقية بمعنى أنها منزلة من عند **الله سبحانه وتعالى** ومنهم

من قال أنها وضعية أي أنها من وضع الإنسان ثم تطرقت إلى وضع النحو العربي أي نشأته بعد ذلك تحدثت عن ماهية الإعراب لدى القدامى والمحدثين وفيه تناولت بعض تعريفات القدامى والمحدثين لهذا المصطلح.

ثم تطرقت إلى كل من علامات وأنواع **الإعراب الظاهر** و**المقدر**، بعد ذلك تناولت الفرق بين كل من **الإعراب** و**النحو** وقد حاولت فيه التمييز بين كل من **النحو** و**الإعراب** وذلك نظرا للتدخل الموجود بين مفهومها، فهناك من يطلق على **النحو** مصطلح الإعراب وعلى **الإعراب** مصطلح النحو، وأخيرا أهمية **الإعراب** وأراء بعض النحاة فيها وقد وجدت **للإعراب** عدة أهميات أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر أهمية سياقية لفظية نطقية...الخ.

وعالجت في الفصل الثاني الموسوم بـــ: **التطور التاريخي لظاهرة الإعراب**، وفيه تتبعت تطور هذه الظاهرة من الناحية التاريخية لأجدها مرت بثلاث مراحل ألا وهي:

- **الإعراب بالسليقة والفطرة:** حيث كانت لغة العرب معربة بالفطرة دون وإعمال فكر فيها، فقد كانوا يرتجلون كلامهم وأشعارهم ونثرهم معربا دون العودة إلى مرجع أو مصدر مدون يحثهم على إعراب كلامهم.
- **الإعراب بين التقعيد والجمود** وهنا برزت الدراسات حول هذه الظاهرة أو الميزة العظمى على حد تعبير أحدهم فنظروا له، وخرج الإعراب بثوب جديد كعلم مستقل بذاته، ليليه فترة طويلة من الجمود، فبعد جهود **الخليل بن أحمد الفراهيدي** وما جمعه **سيبويه** في الكتاب لم تظهر سوى شروح لذلك الكتاب **وتطنيبات وإيجازات** واختلافات ومناظرات في مسائل نحوية، خاصة بين البصرة والكوفة.
- **الدعوة إلى إلغاء الإعراب** وهي دعوة حديثة ومعاصرة عموما إذ يرى أصحابها أنه ما دمنا نفهم الكلام بالتسكين دون حركات فلا داعي للإعراب.

وعالجت في **الفصل الثالث** المعنون بـــ: **أثر الإعراب بحرية الرتبة** واتبعت المنهج التحليلي، حيث تعرضت إلى دور **الإعراب** بحرية الرتبة من خلال التقديم والتأخير، ثم أمن اللبس والترخص في الإعراب ثم **وظيفة الإعراب البلاغية** في بيان المعاني باعتبار

أن **ظاهرة الإعراب** و**العلامة الإعرابية** على الخصوص لها دور مهم في تحديد المعنى النحوي لا يستطيع أحد إنكاره، فالإعراب يتحمل أكبر عبء في أداء المعاني الدقيقة وهو دلالة متكلم العربية وقارئها لإدراك وجهة المعاني ومصارها.

وفي الأخير ختمت بحثي هذا المتواضع والبسيط بخاتمة فكانت معرضا ومجمعا لأهم النتائج المتوصل إليها في خواتم الفصول، معتمدة في ذلك على جملة من المراجع والمصادر العربية ذات أهمية تصب كلها في لب ما حاولت توضيحه.

ولست بهذه الدراسة ممن يدعي استقصاء جميع جوانب الموضوع فلربما طرقت بابا وأهملت أبوابا، وليس ذلك تكاسلا مني وإنما ندرة تلك المراجع وأخص النظرية منها أضف إلى ذلك تعنت بعض المكتبات وصرامة قوانينها؛ أما صعوبة البحث فلا يمكن إخفاؤها ذلك أن هذه الدراسة تحتاج إلى تأن وصبر ومراجعة الفكر والتقليب والنظر حتى يستوي الرأي؛ وتتضح المعالم وهذا ما حاولته قدر الطاقة، وحسبك من العمل جهد المقل.

وإذا كان لا بد من الإقرار بالفضل لأهل العقل والتنويه بذويه فإني أخص بالذكر والشكر الجزيل أستاذي الفاضل المشرف **هاني بوعسلة** الذي ما لقيت منه إلا سعة صدر وتيسير شأن الدراسة، والشكر موصول أيضا إلى أساتذتي الأفاضل بقسم اللغة العربية وآدابها وخاصة **الأستاذ شافعي بديار** بجامعة أم البواقي وجميع أعضاء لجنة المناقشة وكل من ساهمة في إنجاز هذا البحث.

والله ولي التوفيق

مدخل

نشأت اللغة العربية في أحضان جزيرة العرب خالصة لأبنائها، نقية سليمة مما يثنيها من أدران اللغات الأخرى.

ولبثت كذلك أحقابا مديدة، كان العرب فيها يغدون ويروحون داخل بلادهم- على ما هم عليه من شظف العيش- غير متطلعين إلى نعيم الحياة وزخارفها فيما حولهم من بلاد فارس والروم وغيرها، وإن دفعتهم الحاجة إليها أحيانا، وتبادل المنافع أحيانا أخرى.

وكان العربيّ في هذه البيئة النقية ينطق اللغة العربية الفصحى بسليقته، ويتعامل بها مع بني جلدته بفطرته التي جبل عليها دون تكلف أو تصنع حيث كان الطفل يشب في هذه البيئة العربية الخالصة، فيسمع لغة سليمة خالية من الأخطاء، فلا يكاد من العسير عليه أن ينطقها كما سمعها، وأن يعبر بها عن خواطره ومشاعره وشؤون حياته في سهولة ويسر لا يجد في ذلك عناء ولا يعاني منها نصبا إذ السمع سبيل الملكات اللّسانية.[1]

ولم تزل العرب تنطق على سجيتها في صدر إسلامها وماضي جاهليتها حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان، فدخل الناس فيه أفواجا، وأقبلوا إليه إرسالا بمعنى أن المسار العربي بدأ بنزول القرآن الكريم حين وقف العرب مبهورين بروعة النسج وائتلاف الكلم، توقفوا عند ألفاظ أشكلت عليهم لم يتكهنوا أمرها هيبة ووقارا لهذا التنزيل إذ يمكن القول أن بذور نشأة الدراسات اللغوية عند العرب تعود إلى عهد النبي- صلى الله عليه وسلم-.[2]

---

[1] - جودة مبروك محمد- الدرس النحوي عند ابن الأنباري (مكتبة الآداب 42 ميدان الأوبرا - القاهرة (د.ط) (2002)) ص: 5.

[2] - الزبيدي - طبقات النحويين واللغويين - محمد أبو الفضل إبراهيم (دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع (ط1) (1954)) ص:2.

توسعت بعد ذلك دائرة البحث اللغوي في عصر التابعين، وانفصل التفسير اللغوي عن التفسير المتعلق بالمسائل الدينية وشمل البحث في اللغة من جميع جوانبها وجمع الشعر وما أثر عن العرب، وبدأت مرحلة جمع اللغة ووضع قواعد العربية، ويكاد يكون القرن 2 هـ بداية النشاط الفعلي لجمع اللغة، ووضع القواعد العربية والتأليف فيها ذلك أن دخول كثير من غير العرب في دين الإسلام أحدث ما يسمى باللحن، ففشا الفساد في اللغة العربية واستبان منها في الإعراب الذي هو حليها وموضح لمعانيها، فتفطن لذلك من نافر بطباعه سوء إفهام الناطقين من دخلاء الأمم بغير المتعارف من كلام العرب، فعظم الإشفاق من فشو ذلك وغلبته[1]، حتى دعاهم الحذر إلى إنشاء ما يعرف بعلم النحو وهو علم بأصول يعرف بها أحوال أواخر الكلم إعرابا وبناءا وموضوعه اللفظ الموضوع مفردا كان أو مركبا والغرض منه الاحتراز عن الخطأ في التأليف والاقتدار على فهمه والإفهام به[2] أو كما عرفه **ابن جني (ت 392هـ). " هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتحقير، والتكسير والإضافة، والنسب والتركيب، وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وان لم يكن منهم، وان شذ بعضهم عنها رد به إليها..."**[3]

---

(1) - الزبيدي - طبقات النحويين واللغويين - محمد أبو الفضل إبراهيم - المرجع نفسه ص: 3.

(2) - بطرس البستاني- محيط المحيط (مكتبة لبنان- دار النشر رياض الصلح - بيروت - لبنان (ط1) (1987)) المادة المعجمية: 325.

(3) - ابن جني - الخصائص تحقيق عبد الحميد هنداوي (دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان (ج1) (ط1) (2001)) ص: 88

إن اضطراب الألسنة باللحن بعد انتشاره وذيوعه ليس السبب الوحيد في ظهور النحو، بل كان له الأثر المهم إلى جانب أمور أخرى منها الخوف على نصوص القرآن الكريم من اللحن، وحب المحافظة على الفصاحة العربية، إضافة إلى الواجب العلمي بتسهيل طلب تعليم العربية وهذا ما أصل في إيجاد النحو علما مستقلا قائما بذاته فكان أول من أصل ذلك وأعمل فكره فيه **أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي** (ت69 هـ) ونصر بن عاصم (ت 89 هـ) و**عبد الرحمن بن هرمز** (ت117 هـ)، فوضعوا للنحو أبوابا وأصلوا له أصولا، فذكروا عوامل الرفع والنصب والخفض والجزم، ووضعوا باب الفاعل والمفعول والتعجب والمضاف.[1]

وإن الحديث عن المسائل النحوية الأولى يفرض علينا منهجيا الابتداء بالحديث عن أولى المسائل التي شغلت الصرح اللغوي، وهي **مسالة الإعراب** التي أحاط بقواعدها النحاة وأكثروا من الجدل والمناقشة في تعليلها، وأساس كل بحثهم فيه أن " **الإعراب أثر يجلبه العامل**".[2]

ولما استقرت العلوم العربية أخذ العلماء يبحثون عن الأصل والفرع، وعن الثابت والمتغير، فانتهوا إلى أن أصل الكلم البناء والحركات الإعرابية طارئة على الأسماء لإزالة الإبهام الذي قد يحصل في بعض المقامات.[3]

وقد ظل الإعراب يعني البيان والوضوح، ويكشف عن أسرار البلاغة العربية، وقد ألفت كتب كثيرة تحت عناوين مختلفة، تناولت في مجملها أسرار الإعراب.

لقد نشأ الإعراب بعد أن نشأت اللغة وبلغت كمالها متمثلة في تكوين الجمل التي هي مجال الإعراب، ولم ينشأ دفعة واحدة، بل تكونت أحكامه بالتدريج شأنه في ذلك شأن أي علم آخر، حتى إن القدامى سموّا النحو إعرابا، والإعراب نحوا استمرت العلوم العربية في تطورها، إلى أن أصابها ما أصابها من ضعف أهلها، فانحط الإعراب عن غرضه

---

(1) - سالم علوي - وقائع لغوية وأنظار نحوية (دار هومة للنشر والتوزيع - الجزائر (د.ط) (2000)) ص: 83.

(2) - الزبيدي - طبقات النحويين واللغويين - محمد أبو الفضل إبراهيم (دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع (ط1) (1954)) ص:4.

(3) - صالح بلعيد - الإحاطة في النحو (ديوان المطبوعات الجزائرية - بن عكنون - الجزائر (ط3) (1994)) ص: 83.

وأصبح عبارة عن ألغاز ومعميات، فتخلى عن وظيفته الأساسية التي هي البيان فارتفعت أصوات تنادي بإلغائه، والاكتفاء بسكون أواخر الكلم ولكن هذه الدعوة لم تعمر طويلا، وتصدى لها علماء أجلاء وأسقطوها، وردوا لمصطلح **الإعراب** دلالته الأصلية معتمدين في ذلك على ما ثبت بالنصوص الصريحة والحجج العقلية، فخاب فأل الناعقين بسقوط الإعراب، بيد أن المعركة ما زالت مستمرة ولم يأخذ مصطلح الإعراب دلالته واستقراره، وإذ مازلنا نسمع بعض من مسهّم زيف الزائغين عن جادة اللّسان العربي والحاقدين عليه يميلون إلى الدعوة إلى إصلاح النحو تارة وإلى حذف بعض أبوابه تارة أخرى، ولن يجدوا إلى ذلك سبيلا أبدا ما دامت العربية محفوظة **بكتاب سموي**[1] لقوله تعالى: ﴿ **لا يَأتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾.(*)

وقد ركزت الدراسات النحوية على مسالة **الإعراب** وتطوره لما لها من دور رئيسي وأساسي كونها الأصل في التعبير والإفصاح والإبانة، وتتبع أمر هذا التطور- **الإعراب**-، كثير من النحاة القدامى، ولكنهم لم يتناولوه منفردا بل ضمن موضوع أكبر وهو النحو بوجه عام، بحيث يعد الإعراب إحدى الظواهر البارزة والخصائص المتميزة في اللغة العربية، إذ نجده يقترن بها اقترانا لا مجال فيه لانفصال ولا بينونة ومن ثمّة فلا سبيل للحديث عن العربية دون الحديث عن **الإعراب**، الذي هو عنوانها بل روحها وجوهرها ولما للإعراب من أهمية في دراسة العربية، فقد كثرت حوله الدراسات، ووضعت له العديد من التعريفات، وتضاربت حوله الآراء والتحليلات، ورغم ذلك يجد الباحث تقصيرا في الإلمام بكل جوانبه وكذا جميع صفاته وخصائصه، وربما كان السبب في ذلك تعدد معاني للإعراب ومدلولاته، ذلك لأن جذور الإعراب تضرب في اللغة والنحو، بل هي تمتد إلى نظريات علم اللغة الحديث.[2]

---

[1] - أحمد سليمان ياقوت- ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم (دار المعرفة الجامعية (دط) (2003)) ص: 4.

(*) - سورة فصلت الآية (42).

[2] - جميل علوش- الإعراب والبناء دراسة في نظرية النحو العربي (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت- لبنان- (ط1) (1997)) ص: 15.

ومع أن البحث عن معاني **الإعراب** يقتضي بنا الوقوف عند كل تلك الميادين، إلا أنني سأكتفي هنا بالناحية اللغوية ذلك لأنه لا مجال للوصول إلى المعاني التي يحتويها مصطلح "**الإعراب**"، دون الرجوع إلى النصوص اللغوية التي تربطنا بصلة إلى هذا المصطلح سواء منها ما كان لها صلة **بالمعاجم**، أو **القرآن الكريم**، أو **الحديث النبوي الشريف** أو ما تناقله الرواة من كلام العرب على مختلف طبقاتهم[1]، وبما أنّ هذا المصطلح كثير التردّد في المصادر المشار إليها، فلا بدّ أن نتعقبه على المنهج التالي:

- أولا المعـــــاجـــم:

أ- **لسان العرب:** يقول ابن منظور(جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي ت 711 هـــ): قال الأزهري" الإعراب والتعريب معناهما واحد وهو الإبانة...ويقال للعربي: **أفصح لي ابن أي أبن لي كلامك، وأعرب الكلام وأعرب به :بينّه. وعرّب منطقه أي هذبّه من اللّحن، والإعراب الذي هو النحو إنّما هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، وأعرب كلامه إذا لم يلحن في الإعراب ويقال: عربت له الكلام تعريبا،وأعربت له إعرابا إذا بينته له حتى لا يكون فيه حضرمة...**".[2]

ب- **مختار الصحاح:** يقول الشيخ الإمام (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي): "العرب جيل من الناس والنسبة إليهم عربي وهم أهل الأمصار والأعراب منهم سكان البادية خاصة والنسبة إليهم أعرابي وليس الأعراب جمعا لعرب بل هو اسم جنس. والعرب العاربة الخلص منهم أكد من لفظه كَلَيْلٍ لائل. وربما قالوا العرب العرباء وتعرب نسبة بالعرب، والعرب المستعربة: بكسر الراء الذين ليسوا بخلص وكذا المتعربة بكسر الرّاء وتشديدها والعربية: هي هذه اللغة والعَرَبُ والعُرْبُ واحد كالعَجَمِ والعُجْمِ. وأعرب بحجته أفصح بها ولم

---

[1] - جميل علوش- الإعراب والبناء دراسة في نظرية النحو العربي - المرجع نفسه ص: 16.

[2] - ابن منظور- لسان العرب (دار صادر للطباعة والنشر - بيروت - لبنان- (ط1) (دس)) المادة المعجمية: (عرب)

يتق أحدًا. وفي الحديث " الثيّب تعرب عن نفسها" أي تفصح، وعرّب عليه فعله تعريباً: قبّح وفي الحديث " عرّبوا عليه " أي ردّوا عليه بالإنكار".[1]

ج- محيط المحيط: يقول المعلم بطرس البستاني: عَرُبَ الرجل يعرب عروبة وعُرُوبيةً كان عربياً خالصاً ولم يلحن، وعرب اللّسان تكلّم بالعربية. وأعرب الشيء أبانه وأفصحه، يقال أعرب عن حاجته إذا أبان عنها وأعْرَبَ كلامه حسنّه وأفصح ولم يلحن في الكلام، وأعرب بحجته: أفصح بها ولم يتق أحدًا، وأعرب الكلمة: بيّن وجهها من الإعراب وأوضحها، وتَعَرَبَ الرجل: أقام بالبادية وصار أعرابيا وتخلق بأخلاق العرب وتشبه بهم، واسْتَعْرَبَ الرجل صار دخيلا بين العرب، والإعراب مصدر أعْرَبَ وهو مأخوذ من أعْرَبَهُ إذا أوضحه، فان الإعراب يوضح المعاني المقتضية.[2]

ذ- تاج العروس: يقول **مرتضى الزبيدي:** الإعراب بالكسر الإبانة والإفصاح عن الشيء، ويقال للعربي: أعرب لي أي ابن لي كلامك، وأعْرَبَ الكلام وأعرب به بينّه، وأعرب بحجته، أي أفصح بها ولم يتق أحدًا والإعراب الذي هو النحو إنما هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ. وفي حديث السقيفة: أعربهم أحسابا: أي أبينهم وأوضحهم ويقال أعرب عما في ضميرك أي أبن. والإعراب: ألا تلحن في الكلام، وأعرب كلامه إذا لم يلحن في الإعراب والرجل إذا أفصح في الكلام يقال له: قد أعرب، وأعْرَبَ عن الرجل بين عنه، والتعريب تهذيب المنطق من اللحن، ويقال عربت له الكلام تعريبا وأعربت له إعرابا إذا بينته ومنه الحديث الآخر: " فإنما كان يُعْرَبُ عما في قلبه ولسانه".

كذلك حديث التيمي: " كانوا يستحبّون أن يلقنّوا الصبيّ حين يعرّب أن يقول: **لا اله إلا الله** سبع مرات أي حين ينطق ويتكلم.[3]

---

[1] - الرازي - مختار الصّحاح (دار صادر للنشر والتوزيع – بيروت- لبنان- (ط1) (ج4) (1997)) المادة المعجمية: (عرب).

[2] - بطرس البستاني- محيط المحيط (مكتبة لبنان- دار النشر رياض الصلح - بيروت - لبنان (ط1) (1987)) المادة المعجمية: (عرب).

[3] - الزبيدي- تاج العروس- تحقيق علي فكر (دار الفكر (ج2) (دط) (1994)) باب (ر-ي) ص: 215-217.

ر- **أســـــاس البلاغـــــة:** يقول **الزمخشري (جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري)** عرب: عرُب لسانه، وما سمعت أعرب من كلامه، وأعرب وهو من العرب العرباء، والعَارِبة وهم الصرحاء الخلص،وفلان من المستعربة وهم الدخلاء فيهم.

وقال **الجندل بن المثنى الطهوي** " جَعْدُ الثري مستعربٌ الترابِ" أي بعيد عن أرض الأعاجم، وفيه لوثة أعرابية.قال:

وإني على ما في من عنجميتي ولوثة أعرابيتـــــي لأديـــــب

أي تعرّب فلان بعد الهجرة.[1]

- ثانيا القـــــــران الكريـــــــــم:

لم يبتعد القرآن الكريم عن الجو الذي حاولنا رسمه بما استخرجناه من تفسيرات من أمتن المعاجم، فهو يكثر من الإشارة إلى هذا المصطلح في معرض الفخر والاعتزاز من ذلك الآيات التالية:

- قوله تعالى: ﴿ **لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ** ﴾. سورة النحل الآية 103.
- قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾. سورة يوسف الآية 2.
- قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً**﴾. سورة الرعد الآية 37.
- قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً**﴾. سورة الشورى الآية 7.
- قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾. سورة الزخرف الآية 3.
- قوله تعالى: ﴿ **وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾. سورة الأحقاف الآية 12.

وإذا أمعنا النظر في هذه الآيات الكريمة، وجدنا تمسكا شديدا بوصف القرآن الكريم بأنه عربيُ ووصف آياته بأنها عربية[2]. ولابدّ أن يكون هذا الوصف منبثقا عن دوافع

---

[1] - الزمخشري - أساس البلاغة (مكتبة لبنان ناشرون (ط1) (1996)) المادة المعجمية: (عرب).
[2] - مصطفى الغلاييني - جامع الدروس العربية (المكتبة العصرية- بيروت- (ط1) (ج1) (2004)) ص: 25-26.

محدّدة، ولا يمكن أن يجئ عفوا أو عبثا، وعلى الرغم من أننا لا نستطيع أن نحدد هذه الدوافع تحديدا قاطعاً مانعاً كما يقول المناطقة، لكن نستطيع الإشارة إلى ما يلي:

- القرآن الكريم أول كتاب ينزل باللغة العربية، وهو أول كتاب يشهد له الخلود.
- أن الرسول – صلى الله عليه وسلم– عربيُ الأصل ونزل القرآن بلسانه لذلك فله أن يفتخر بالعربِ والعروبة.
- إن خضوع العرب للفرس والروم جعلهم كثيري الكراهية لهما، وقد حملهم على هذه الكراهية أنّ هؤلاء الأقوام من الفرس والروم كانوا يفرضون عليهم ما ليس من طبيعتهم سواء على المستوى السياسي أو المستوى الديني. وقد نتج عن ذلك نفور شديد في نفوس العرب وتجلى ذلك في مظهرين هما:

أ– ثورات سياسية واجهوا بها الرومان.

ب– فرق دينية مسيحية كانت تتمسك بأهداب العرب والعروبة.

نستخلص مما سبق أن –**القرآن الكريم**– حينما يشيّد بالعرب والعروبة وحينما يصف آياته بأنها عربية، لابدّ أنه كان ينطلق من نزعتين:

1– نـــــزعة قوميـــــة: تتمثل في الظلم والاضطهاد الذي كان يفرضه الرومان والفرس على العرب.

2– نـــــزعة تعبيريـــــة لغويـــــة: تتمثل في افتخار العرب بلغتهم.[1]

ومما سبق ذكره، نستنتج أن **القرآن الكريم** لم يبتعد عن التفسيرات التي أثبتتها المعاجم السابقة، ذلك أنّ **الإعراب** مصدر مشتق من العَرَبِ والعُرُوبَةِ وكلها ألفاظ تفيد الإفصاح والإبانة.

[1] - مصطفى الغلاييني - جامع الدروس العربية- المرجع نفسه ص: 27.

ثالثا – الحـــــديث النبـــــوي:

ما دمنا نتحدث عن **الإعراب** ومعانيه ودلالاته في أول نشأته وبدء ظهوره، فلابدّ أن نبحث عما قاله الرسول – صلى الله عليه وسلم – ونطق به بهذا الصدد، وقد نسب إليه– صلى الله عليه وسلم– طائفة من الأحاديث التي تتعلق بهذا الموضوع، ومنها:[1]

1–قال صلى الله عليه وسلم: " **أَعْرِبُوا القُرْآنَ والتَمِسُوا غَرَائِبَهُ**". رواه الجماعة.

2– " **جَوّدُوا القُرْآنَ وزَيّنوهُ بأحْسَنِ الأصْوَاتِ، وأعْرِبُوهُ فإنَهُ عَرَبِيُ واللهُ يُحِبُ أنْ يُعْرِبَهُ**". رواه ابن ماجة والترمذي.

3– " **مَنْ قرَأ القُرْآنَ بإعْرَابٍ فلَهُ أجْرُ شَهِيدٍ** ". رواه ابن ماجة والترمذي.

4–" **أعْرِبُوا الكَلاَمَ كَيّ تُعْرِبُوا القُرْآنَ**". رواه ابن ماجة والترمذي.[2]

كما نرى فالرسول– صلى الله عليه وسلم– شديد الحرص على إعراب القرآن، وهو يكثر من الدعوة إلى إعرابه فهل كان القوم يعرفون الإعراب في زمن الرسول – صلى الله عليه وسلم– وإذا لم يكن الجواب بالإيجاب فما الذي كان يقصده ؟

مما يكاد يقطع به العلماء أن الإعراب الذي يقصد به ضبط أواخر الألفاظ بالحركات المناسبة لم يكن معروفا في زمن الرسول – صلى الله عليه وسلم– فلا بدّ أن يكون الرسول قد قصد شيئا آخر. إنه كان يقصد بلا شك بالإعراب، الإفصاح والإبانة، وهو المعنى الذي تنص عليه كتب اللّغة.[3]

أقـــــوال العـــــرب:

بعد أن تحدثنا عن الإعراب وأهميته وضرورة التمسك به في المعاجم والقرآن والحديث، لا بأس إذن أن نعرض نماذج ممّا قاله عدد من رجال العرب الأعلام على النحو التالي:

- **قال الزركشي:** يستحب قراءته **(أيْ القُرْآنْ)** بالتفخيم والإعراب.

---

[1] - جميل علوش- الإعراب والبناء دراسة في نظرية النحو العربي (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت- لبنان- (ط1) (1997)) ص: 20.

[2] - مختصر صحيح الإمام مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (دار الفكر- بيروت- لبنان- (ط1) (2002) (1422ه)) ص: 566.

[3] - جميل علوش- الإعراب والبناء دراسة في نظرية النحو العربي - المرجع نفسه ص: 21.

- **قال مالك بن أنس:** الإعراب حلي الكلام، فلا تمنعوا ألسنتكم حليها.
- **قال أبو العبّاس المبرّد:** كان بعض السلف يقول: عليكم بالعربية فإنها المروءة الظاهرة، وهي كلام الله عز وجل وأنبيائه وملائكته.
- **قال أحمد بن فارس:** فأمّا الإعراب فبه تميز المعاني، ويوقف على أغراض المتكلمين.

كل هذه الأقوال التي تحث على الإعراب، تدل على أن العربية كانت تشهد نهضة عظيمة، يمثل القرآن أبرز شواهدها، على الرغم من أن العناية بالعربية والإعراب كانت موجودة في القوم منذ الجاهلية، ولهذا حرص الجميع على الإشادة بالفصاحة والدعوة إلى صونها تحت اسم آخر ألا وهو **الإعراب.**[1]

[1] - يوسف بكوش- مرشد الطلاب في النحو والإعراب (دار هومة للنشر والتوزيع- الجزائر (ط1) (2003)) ص: 07-08.

الفصل الأول

ظاهرة الإعراب اتجاه النحو خاصة واللغة عامة

1- نشأة اللغة والنحو العربي
2- نشأة الإعراب
3- ماهية الإعراب لدى القدامى
4- ماهية الإعراب لدى المحدثين
5- علامات وأنواع الإعراب
6- الاختلاف الظاهر بين كل من الإعراب والنحو
7- أهمية الإعراب
8- آراء بعض النحاة في الإعراب

الفصل الأول: ظاهــرة الإعراب اتجاه النحو خاصة واللغة عامــة

1- نشـــأة اللغــة والنحــو العربـــي

اختلف العلماء منذ القدم في نشأة اللغة، فمنهم من قال بأنها توفيقية، بمعنى أنها منزلة من عند الله سبحانه وتعالى، وأن ليس للإنسان فضل في إيجادها، وآخرون قالوا إنها وضعية، أي أنها من وضع الإنسان، صنعها لنفسه لتفي بمطالبه الاجتماعية وانبرى كل فريق للدفاع عن رأيه بتقديم الأدلة والبراهين وتباروا في ذلك، وليس المجال هنا أن أعرض آراء الفريقين وترجيح واحد منهما، ولكني أشرت إليها لكي أنتقل إلى **مسألة الإعراب**، ذلك أنه إذا كان العلماء قد اختلفوا في نشأة اللغة فإن نشأة **الإعراب** ربما تكون لها من الدلائل والبراهين ما يجعلنا نظن أنها اصطلاحية، والدليل على ذلك أن اللغة عندما تعرب تكون قد وصلت إلى درجة الكمال، ويكون الإنسان الذي يتكلم بها قد وصل أيضا إلى درجة الكمال العقلي والنمو الفكري، فكتابة لغة معربة أو النطق بلغة معربة يتطلب ذهنا واعيا وعقلا ناميا ليطابق بين المعاني التي في نفسه و بين الرموز التي على أواخر الكلمات المنطوق بها، تلك الرموز التي تدل على ما يريد إظهاره من المعاني.

ولنفترض أن اللغة كانت في أول أمرها صيحات أو إشارات باليد أو مجرد أصوات تدل على الرغبات الشخصية للإنسان الأول، ثم اكتساب الإنسان خبرة جعلته ينطق ببعض الأسماء لمسميات يعرفها ويشاهدها أمامه، ثم لمسميات يشعر بها، وبعد ذلك وفق بين هذه الأسماء فكانت الجمل، أليس معنى ذلك أنّ تكوين الجمل كان هنا المرحلة الأخيرة في اللغة.[1]

فإذا كان الأمر كذلك **فالإعراب** ظاهرة تمثل قمة التطور اللّغوي عند الإنسان وليست مصاحبة لنشأة اللّغة ذلك لأن الإعراب لا يجيء إلا مع الجمل، على أنه لم يجيء دفعة واحدة. فالرياضيات مثلا كانت في أول الأمر مجرد عمليات مبسطة في الجمع والطرح والضرب ثم بارتقاء العقل واستمرار هذا الارتقاء قطعت الرياضيات أشواط بعيدة حتى وصلت إلى النظريات الرياضية المعقدة التي انبنى عليها كثير من المظاهر الحديثة كذلك فإن أحكام الإعراب تكونت بالتدريج تبعا للرقي الاجتماعي والحضاري لأمم.

---

[1] - أحمد سليمان ياقوت- ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم (دار المعرفة الجامعية (دط) (2003)) ص:5-6.

الفصل الأول: ظاهــرة الإعراب اتجاه النحو خاصة واللغة عامــة

أما الحديث عن **تطور ظاهرة الإعراب في اللغة العربية** بشيء من التفصيل فقولنا إن الشعر الجاهلي هو أقدم نص عربي معرب فصيح، وهذا الشعر موزون ومقفى وتفعيلاته العروضية تقوم صحتها وسلامتها على الإعراب من تنوين وحركة وسكون، إذ لا يمكن قراءة هذا الشعر دون كسر إذا أهملنا إعرابه.[1]

وإذا ألقينا الضوء على **ظاهرة الإعراب** من حيث إنها غير مستحدثة في العربية الفصحى، بل إن لها جذورا عميقة موغلة في بطن التاريخ، وأنها كانت موجودة في اللغة السّامية الأم– اللغة العربية غير المتطورة – بدليل أن الأكاديين وهم الذين قاموا بأول هجرة سامية إلى أرض الرافدين كانت لغتهم معربة، وأن هذا الإعراب ظل ينمو ويترعرع شيئا فشيا حتى اكتمل ونضج وتمثل هذا النضج في لغة الشعر الجاهلي.

ويبقى سؤال بعد هذا: **كيف انتقل الإعراب من تلك الآثار البدائية الضئيلة التي نجدها في النقوش وفي اللغات السامية الأخرى تلك الحالة الكاملة التي نجده عليها في الشعر الجاهلي؟**

إذن فهناك حلقة مفقودة في سلسلة هذا التطور أو هذا التكوين، فضل بين الحالتين إذ لا يعقل أن تتكون الصورة الإعرابية الكاملة المتمثلة في الشعر الجاهلي فجأة أو دفعة واحدة، فهذا ضد طبائع الأشياء وحتى يكون الرّد شافيا على هذا السؤال يكون **النحو** قد نشأ فنا قبل أن ينشأ علما يقصد بذلك أنّ **ضبط القواعد الإعرابية** المختلفة التي نراها الآن ليس من السهل تأريخها بحيث نقول إن رفع الفاعل عُرف عن العرب سنة كذا أو أن تقديم الخبر عندما يكون ظرفا أو جارًا أو مجرورًا وضعه العرب سنة كذا أو لوحظ إتباع الصفة للموصوف في زمن كذا، لا ليس هذا أمرا هينا أو سهلا لأن ضبط هذه القواعد كان من طبائع النفوس، وكان فطريا أيضا مسايرا للتطور الاجتماعي العام بصفة خاصة وللتطور اللّغوي بصفة عامة فاللغة– بعد أن تتجاوز مرحلة الطفولة ويبدأ العقل يتصرف فيها من حيث الاشتقاق والنحت والتصريف، ثم من حيث التراكيب ووضع الضوابط المميزة بين هذه التراكيب بالنسبة لأدائها للمعاني– تجد نفسها مضطرة بحكم مسايرتها لظروف المجتمع إلى التزام بعض الضوابط لتمييز بعض التراكيب عن بعض، ولمعرفة

---

[1] - أحمد سليمان ياقوت- ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم، مرجع نفسه ص: 7-8

وظيفة كل لفظ بالنسبة لموقعه من الجملة. هذه الضوابط في صورتها الأولى هي عبارة عن النحو الفني، و**الإعراب** ليس بدعا في ذلك بين سائر العلوم، فالنحت مثلا عرفه الإنسان الأول قبل أن يدرس الآن في كليات الفنون الجميلة. إذن فلا سبيل إلى معرفة التدرج في الإعرابية حتى نصل بها إلى الشعر الجاهلي.[1]

ويؤيد هذا الرأي ما قاله ابن خلدون في مقدمته:" فإنّ الملكات إذا استقر ورسخت في محالها ظهرت كأنها طبيعية وجبلّة لذلك المحل، ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن الملكات بالطبع وأن الصواب للعرب في لغتهم- إعرابا وبلاغة – أمر طبيعي ويقول كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك، وإنما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت، فظهرت في بادي الرأي أنها جبلّة وطبع. وهذه الملكة كما تقدم ، إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تركيبه ".[2]

ومع ذلك فإننا لو تتبعنا بعض ظواهر الإعراب في لغتنا العربية لوجدناها تنزع من التعميم والشمول إلى التخصيص والتفرقة بين المعاني، ومن البساطة والبدائية إلى التعقيد وإعمال الفكر، فالإعراب في أول أمره لم تكن له هذه الدقة المتناهية التي نجدها الآن في التفريق بين المعاني، بل ربما كانت الحركة الإعرابية تحوي بين جوانبها معنيين، فلما أن استقامت العقول وبلغت شأوا في الرقي والتقدم صارت هذه الحركة الإعرابية الواحدة– التي ترمز إلى معنيين – حركتين كل منهما ترمز إلى معنى مختلف عن الآخر. ومثال ذلك في **أسلوب الاستثناء** عندما يكون الكلام تاما فإذا كان الاستثناء متصلا، أي أن المستثنى داخل في جنس المستثنى منه. وجب إعراب المستثنى على أنه بدل من المستثنى منه. أما إذا كان الاستثناء منقطعا فيجب حينئذ نصب المستثنى، إذن فهناك حركتان لإعراب، كل منهما يدل على معنى مخالف لآخر، وهذا دور متقدم في **مراحل الإعراب** إذ

---

(1) - أحمد سليمان ياقوت- ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم - المرجع نفسه ص: 8-9.
(2) - ابن خلدون - المقدمة تحقيق درويش جويدي (المكتبة العصرية - صيدا - بيروت (دط) (2002)) ص: 562.

أننا نجد عند "بني تميم" الدور الذي سبق هذا التقدم فهم يعممّون، فلا يفرقون بين **الاستثناء المتّصل والمنقطع** فيرفعون في الحالتين.[1]

من شواهد رفعهم في الاستثناء المنقطع قول **جران العود:**

وبلـــــدة ليس بهـــا أنيسُ إلا اليعافيــرُ وإلاّ اليعيــسُ[2]

فبالرغم من أن اليعافيرُ (وهي الظباء) والعيسُ (الإبل) ليست داخلة في جنس المستثنى منه وهو (الأنيس) إلا أن الراجز أتبعهما على البدل، وهذه – كلما قلنا– هي مرحلة قديمة من مراحل الإعراب قبل أن تتقدم العقول وترقى، فيفرقوا بين الاستثناء المنقطع والمتصل ويرمزوا إلى هذا التفريق بحركات الإعراب وإلزام المستثنى، ثم إعرابه بالياء نصباً وجرًا وبالألف رفعاً، أليس هذا تطورًا وانتقالًا من التعميم والشمول إلى التفريق والتخصيص؟

ولغة " **أكلوني البراغيث** " أليست هي الأخرى المناسبة للعقول البدائية البسيطة؟ وأي بساطة أكثرُ من أن يجمع الفعل مع الفاعلين، ويتنمى مع الفاعلين؟ ثم لما تقدمت العقول وارتقت ظهر إفراد الفعل أياً كان عدد الفاعلين، وهذا يدّل على التروي وإعمال الفكر. وإذا وصلنا إلى حالة الإعراب في الشعر الجاهلي وجب علينا أن نقف عنده ولا نتعدّاه، فهو يمثل الصورة الكاملة التي بقيت حتى يومنا هذا ثابتة راسخة لا تتغيرُ، ومن ثمّ فلا تطور في الظواهر الإعرابية على مرّ العصور المختلفة. فالفاعل – مثلا– كان ولم يزل وسيظل مرفوعاً والمفعول سيبقى على نصبه أبَدَ الدهر، ولن يتخلّى الجرّ عن المضاف إليه ليجئ النصب أو الرفع بدلاً منه. فليست **ظاهرة الإعراب** كظاهرة **شعر الحماسة** مثلاً حدث فيه تطوّر، فكان في العصر الجاهلي له صفات وملامح تطورت في صدر الإسلام، ثم كان العصر الأموي الذي اتخذّ شعر الحماسة فيه ملامح تخالف ما كان عليه في الجاهلية والإسلام.[3]

---

(1) - جمال الدين الأنصاري- شرح قطر الندى وبل الصدى (دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان (ط1) (2004)) ص: 95.
(2) - عمرو بن عثمان بن قنبر - الكتاب - تحقيق عبد السلام هارون (دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان (ج1) (ط1) (1999)) ص: 365.
(3) - مرجع نفسه ص: 365-366.

ثم كان عصر بني العبّاس إلى أخر التطور الذي اعترى هذا النوع من الشعر على مدى العصور، لا بل إن **الإعراب** نما واكتمل ثم وقف وثبت عند العصر الجاهلي، حتّى صار كالقوانين الثابتة التي لا فكاك منها إلاّ بخرق طبائع الأشياء والجنوح إلى ما لا يقبله العقل أو الشرائع. ولكن هناك تطور من نوع آخر لحق بالإعراب، ذلك هو مدى تمسك الناس بقواعده وتراكيبه.[1]

نعم: التطور هنا ليس في الظاهرة نفسها، ولكن بمدى رغبة الناس فيها أو عنها.

2- نشـــــــــأة الإعـــــــــراب

أكان الإعراب صفة من صفات اللّغة العربية في العصر الجاهلي والإسلامي، أم كانت العربية خالية منه في ذلك العهد، ثمّ عمد النحاة إلى إدخاله فيها؟

لم يطرح الباحثون العرب القدامى هذا السؤال، والظاهر أنهم لم يشكوّا إطلاقا بوجود الإعراب في اللغة العربية، منذ نشأتها، ولولا ذلك لرأينا من يقدح بوجوده.

أما الباحثون المحدثون، فمنهم من ذهب إلى أن **الإعراب** طارئ على اللّغة العربية وهو من صنيع النحاة، ولعلّ أوّل من ذهب هذا المذهب هو اللّغوي المصري **إبراهيم أنيس** الذي زعم أن الإعراب قصّة مختلفة " **استمدت خيوطها من ظواهر لغوية متناثرة بين قبائل الجزيرة العربية، ثم حيكت وتمّ نسجها حياكة محكمة في أواخر القرن الأول الهجري أو أوائل الثاني، على يد قوم من صنّاع الكلام، نشئوا وعاشوا معظم حياتهم في البيئة العراقية**".[2]

---

[1] - شوقي ضيف- تاريخ الأدب العــربي (العـصر الجاهلي) (دار المعـارف- القاهرة- مصر (ج1) (ط6) (1984)) ص: 19.

[2] - إبراهيم أنيس - من أسرار اللغة (دار الكتب العلمية - القاهرة- مصر- (دط) (دس)) ص: 198.

الفصل الأول: ظاهــرة الإعراب اتجاه النحو خاصة واللغة عامــة

وادعى بعض المشرقين أنّ القرآن الكريم نزل أوّل الأمر بلهجة مكة المكرمة المجردة من ظاهرة الإعراب، كما ذهب بعض الباحثين إلى أن الإعراب لم يكن يراعي إلا في لغة الآداب مستدلا بما يلي:[1]

1- إن جميع اللهجات الحالية خالية من الإعراب.

2- إن الإعراب يتطلب الانتباه الزائد، فلا يتناسب واللهجات العاميّة التي تتوخى السهولة واليسر.

3- إن الإعراب بنظامه الدقيق، لا يتوافق وبدائية العرب في جاهليتهم.

ومعظم الباحثين يؤكدون وجود **الإعراب** في العربية منذ نشأتها وقد ردّوا على الفريق الأول بما يلي:

1- إن بعض اللهجات العربية الحاضرة ما زالت تحتفظ ببعض مظاهر الإعراب وخاصة الإعراب بالحروف.

2- إن التطوّر اللّغوي هو الذي أسقط الإعراب، فخلّو اللهجات الحالية منه لا ينفي بالضرورة وجوده قديماً.

3- إن دقة القواعد وتشعبها لا يستلزمان بالضرورة كونها مخترعة فاليونانية واللاتينية في العصور القديمة، والألمانية في العصر الحاضر تشتمل على قواعد لا تقلّ في دقتها وتشبعها عن قواعد اللّغة العربية.

4- ليس في الروايات العربية أيُّ إشارة إلى أنّ النحويين تواطؤا على وضع القواعد.

5- إن الشعر العربي بأوزانه الموسيقية يعتمد على الإعراب، وبدون الإعراب تختل كل الأوزان الشعرية.

6- إن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وصلا إلينا معربي الكلمات.

7- إن الروايات الكثيرة عن اللّحن واللاحنين، لا يمكن أن تكون مختلفة وهي بهذه الكثرة.

---

[1] - عامر السامرائي- آراء في العربية (دار النشر (دط)(دس)) ص: 68-71.

8- إن العرب، ما كانوا يفهمون اللّغة إلا معربة[1] ومنها ما روي عن الجاحظ " أن رجلا من البلد قال لإعرابي: كيف أهلِك؟ بكسر اللام. قال الأعرابي: صلباً لأنه أجابه على فهمه ولم يعلم أنه أراد المسالة عن أهله وعياله".[2]

كذلك القول أن القرآن نزل بلهجة مكة المجردة من **ظاهرة الإعراب**، يفترض **أولاً** أن لهجة مكة كانت خالية من الإعراب، ولم يقم على ذلك أي دليل، ويفترض **ثانياً** أن العلماء أعربوا القرآن، ثم اعتمدوا على هذا الإعراب في وضع قواعدهم- لأن القرآن هو أوثق النصوص التي يحتج بها على صحة قاعدة من قواعد الإعراب- وهذا مخالف لأبسط قواعد المنطق، إذ كيف يعربونه بحسب قواعدهم الموضوعة ثم يعودون ليحتجوا به على صحة تلك القواعد؟

إذا كان القرآن نزل دون إعراب، فأين يكون وجه التحدّي عندما تحدّى الله المشركين في أن يأتوا بسورة مثله؟ وهذا التحدي ظاهرٌ في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمّا نَزّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾.[*]

وهل يقوم التحدي إلا إذا كانت لغة التنزيل هي نفسها لغة الناس الذين يتحدّاهم بكل ما فيها من ألفاظ وتراكيب وحركات؟

---

[1] - عامر السامرائي- آراء في العربية- المرجع نفسه ص: 71-72.

[2] - الجاحظ - البيان والتبيين - تحقيق عبد السلام محمد هــارون (دار الجيل- بيروت- لبنان (ج1) (دط) (دس)) ص: 163-164.

[*] - سور البقرة الآية: (23).

ويتبين لي من هذا الرّد أن الإعراب لم يكن من صنيع النحاة، بل كان من صفات العربية بدليل أن الشعر الجاهلي والإسلامي وصلا إلينا معربين، وكذلك القرآن الكريم والقراءات القرآنية، على اختلافها وقد أوصلها بعضهم إلى العشْر، تتفق فيما بينها على النطق بالإعراب، وهي في قسم كبير تختلف في الوجه الإعرابي من **رفع ونصب وجر وجزم**، لا في الإعراب نفسه. والاختلاف في الوجه الإعرابي دليل على وجود الإعراب نفسه.[1]

3- مــاهيـــة الإعـــراب لـــــدى القــدامـــــى

الإعراب ظاهرة لغوية دقيقة ورثتها العربية عن أمِها السامية، فهو عنوان الثقافة التامّة والأدب الرفيع، والخلق المهذّب. وهو في العربية بمثابة الدستور للناطقين بالعربية الذي يتجّه إليه الواحد منهم كلّما أراد بناء كلام لغوي فصيح أو فهم نص أدبي بليغ، ولولا الإعراب لما استطعنا محاكاة العرب في كلامهم ومجاراة طرائقهم في فن القول، وأساليب التبليغ.[2]

ولما أبت العربية حظا من التطور أضحى الإعراب أقوى عناصرها، وأبرز خصائصها، بل سر جمالها، وأمست قوانينه وضوابطه هي العاصمة من الزلل المعوضة عن السليقة.

ولم يرتب أحد من اللغويين القدامى في أن الإعراب من خصائص العربية، بل من أشدِّ هذه الخصائص وضوحاً، وأن مراعاته في الكلام هي الفارق الوحيد بين المعاني المتكافئة. ولقد عبروا عن هذه الظاهرة بأساليب متنوعة تنطق جميعا بحقيقة واحدة.[3]

من بين تلك الآراء نجد:

1- <u>سيبويه</u> (أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت 180 هــ) الذي أشار للإعراب على أنه: يجري على ثمانية مجار: على النصب والجر والرفع والجزم، والفتح والضم والكسر والوقف. وهذه المجاري الثمانية يجمعهن في اللفظ أربعة أضرب: فالنصب والفتح في

---

(1) - امــيل بديع يعقوب- فصــول في فقه اللغة العربية (المؤسسة الحديثة للكتاب - طرابلس- لبنان (ط1) (2007)) ص: 217.

(2) - بكري عبد الكريم-ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي (ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر (دط) (1982)) ص: 177.

(3) - صبحي صالح - دراسات في فقه اللغة (دار العلم للملايين (ط1) (1990)) ص: 117-118.

اللفظ ضرب واحد، والجر والكسر فيه ضرب واحد، وكذلك الرفع والضم، والجزم والوقف.[1]

2- الزجاجّي (أبو القاسم عبد الرحمان بن إسحاق ت 337 هـ): الإعراب أصله البيان ثم إن النحويين لما رأوا في أواخر الأسماء والأفعال حركات تدل على المعاني، وتبين عنها، سموها إعرابا أي بيانا والإعراب الحركات المبنية عن معاني اللغة.[2]

3- ابن جنّي: (أبي الفتح عثمان بن جنّي ت 392 هـ): الإعراب هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت أَكْرَمَ سَعِيدٌ أَبَاهُ وشَكَرَ سَعِيدًا أَبُوهُ، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولولا كان الكلام شرحا واحدا لا ستبهم احدهما من صاحبه.

فإن قلت: فقد تقول ضَرَبَ يَحْيَ بُشْرَى، فلا تجد هناك إعرابا فاصلاً وكذلك نحوه قيل: إذا اتفق ما هذه بميله، مما يخفي في اللفظ حاله، ألزم الكلام من تقديم الفاعل، وتأخير المفعول، ما يقوم مقام بيان الإعراب، فان كانت هناك دلالة أخرى من قبل المعنى وقع التصرف فيه بالتقديم والتأخير،نحو أَكَلَ يَحْيَ كُمّثْرَي" لك أن تقدم وأن تؤخر كيفما شئت وكذلك ضربت هذا هذه، وكلّم هذه هذا، وكذلك أن وضع الغرض بالتثنية أو الجمع جاز لك التصرف نحو قولك أكرم اليحييان البشريين وضرب البشريين اليحيون كذلك كلّم هذا فلم يجبه لجعلت الفاعل والمفعول أيهما شئت، لأن في الحال بيانا لما تعني".[3]

وهذا يعني في اصطلاح "**ابن جنّي**" أن الإعراب هو التغيير اللاحق أواخر الأسماء والأفعال من رفع ونصب وجر وجزم بسبب تغير العوامل الداخلة عليها لفظا أو تقديرا.

---

(1) - عمرو بن عثمان بن قنبر - الكتاب - تحقيق عبد السلام هارون (دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان (ج1) (ط1) (1999)) ص: 13.

(2) - أبو القاسم الزجاجيّ- الإيضاح في علل النحو- تحقيق مازن مبارك (دار النفائس - بيروت- لبنان (ط1، ط2) (1974-1986)) ص: 91.

(3) - ابن جني - الخصائص تحقيق عبد الحميد هنــداوي (دار الكتب العلمية - بيروت- لبـنان (ج1) (ط1) (2001)) ص: 88.

4- ابن فارس (أبو الحسن احمد بن فارس بن زكريا ت 395 هـ): "الإعراب هو الفارق بين المعاني، ألا ترى أن القائل إذا قال: ما أحسن زيد... لم يفرق بين التعجب والاستفهام والذم إلا بالإعراب- وكذلك إذا قال ضرب أخوك أخانا، ووجهك وجه حر... وما أشبه ذلك من الكلام المشتبه...."[1] وزاد **ابن فارس** هذه الظاهرة تقريرا وتوضيحا بقوله في موضع أخر:" من العلوم الجليلة التي خصت بها العرب **الإعراب**، الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما ميز فاعل من مفعول،ومضاف من منعوت ولا تعجب من استفهام، ولا صدر من مصدر، ولا نعت من تأكيد".[2]

5- أبي محمد (القاسم بن علي محمد الحريري البصري ت 516 هـ): الإعراب هو تغيير آخر الكلمة، لاختلاف العوامل الداخلة عليها.[3]

6- ابن يعيش (موفق الدين أبو البقاء بن علي ت 643 هـ): الإعراب هو الإبانة عن المعاني باختلاف أواخر الكلم لتعاقب العوامل في أولها، ألا ترى أنك لو قلت ضَرَبَ زَيْدُ عَمْرُو من غير إعراب لم يعلم الفاعل من المفعول، ولو اقتصر في البيان على حفظ المرتبة، فيعلم الفاعل بتقدمه والمفعول بتأخره لضاق المذهب، ولم يوجد من الاتساع بالتقديم والتأخير ما يوجد بوجود الإعراب،ألا ترى أنك تقول: ضَرَبَ زَيْدُ عَمْرًا، وأَكْرَمَ أَخَاكَ أَبُوكَ فيعلم الفاعل برفعه، والمفعول بنصب سواء تقدم أو تأخر.[4]

7- ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف ابن أحمد بن هشام ت 643 هـ): الإعراب أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في آخر الاسم المتمكن والفعل المضارع.

---

[1] - ابن فارس- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها - حققه مصطفى الشويمي (مؤسسة -أ- بدران للطباعة والنشر- بيروت- لبنان (دط) (1964) (باب القول في حاجة أهل العلم والفتيا إلى معرفة اللغة العربية)) ص: 66.

[2] - المرجع نفسه (باب ذكر ما اختصت به العرب) ص: 77.

[3] - بركات يوسف هبود- شرح ملحة الإعراب (المكتبة العصرية - صيدا- بيروت (دط) (2001)) ص: 33.

[4] - ابن يعيش - شرح المفصل (إدارة الطباعة المنيرية - مصر (ج1) (دط) (دس)) ص: 72.

فمثال الآثار الظاهرة: الضمة والفتحة والكسرة في قولك:" جاء زيدٌ" و"رأيت زيداً" و"مررت بزيدٍ" ألا ترى أنها آثار ظاهرة في آخر "زيد" جلبتها العوامل الداخلة عليه، وهي "جاء"، و"رأى" و"الباء".ومثال الآثار المقدرة ما تعتقده منويا في آخر نحو"الفتى" من قولك "جاء الفَتَى" و"رأيت الفَتَى" و"مررت بالفتَى": فإنك تقدر في آخره في المثال الأول ضمة وفي الثاني فتحة وفي الثالث كسرة، وتلك الحركات المقدرة إعرابا.[1]

8- ابن خلدون (ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ت 808 هـ) الإعراب به يتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر ولولاه لجهل أصل الإفادة.[2]

9- السيوطي (الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ت911 هـ): أختلف في حقيقة الإعراب فذهب قوم إلى أن الإعراب معنى وهو عبارة عن الاختلاف، وذهب قوم إلى أن الإعراب عبارة عن الحركات وهو الحق.[3]

وبهذا الإعراب اللازم يعلم فساد من جعل الإعراب تغييرا وقد حدّث من ذلك بوجهين:

أحدهما: أن ما يلزم وجها واحدا من وجوه الإعراب فهو صالح للتغيير فيصدق عليه متغير، وعلى الوجه الذي لازمه تغيير.

والثاني: أن الإعراب تجدد في حالة التركيب فهو تغيير باعتبار كونه منتقلا إليه من السكون الذي كان قبل التركيب.

والجواب عن الأول أن الصالح لمعنى لا يوجد بعد لا ينسب إليه ذلك المعنى حقيقة حتى يصير قائما به، ألا ترى أن رجلا صالح للبناء إذا ركب مع لا، وخمسة عشرة صالح للإعراب إذا فك تركيبة، ومع ذلك لا ينسب إليهما إلا ما هو حاصل في الحال من الإعراب رجل وبناء خمسة عشرة، فكذا لا ينسب تغير له في الحال.

---

(1) - جمال الدين بن هشام الأنصاري- شرح قطر الندى وبل الصدى (دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان (ط1) (2004)) ص: 56.

(2) - ابن خلدون - المقدمة تحقيق درويش جويدي (المكتبة العصرية - صيدا - بيروت (دط) (2002)) ص: 545.

(3) - السيوطي- المزهر في علوم اللغة (دار الجيل- بيروت (ج2) (دط) (دس)) ص: 33-35.

والجواب عن الثاني أن المبني على حركة مسبوق بأصالة السكون فهو متغير أيضا وحاله تغير، فلا يصلح أن يحد بالتغيير الإعراب لكونه غير مانع من مشاركة البناء، ولا يخلص من هذا القدح قولهم: لتغير العامل، فإن زيادة ذلك توجب زيادة فساد، لأن ذلك يستلزم كون الحال المنتقل عنها حاصلة لعامل تغير ثم خلفه عامل آخر حال التركيب وذلك باطل بيقين، إذ لا عامل قبل التركيب وإذا لم يصحّ أن يعبّر عن الإعراب بالتغبير، صح التعبير عنه بمجهول آخرا من حركة وغيرها على الوجه المذكور.[1]

يفهم من آراء المعجميين أن ماهية الإعراب لدى القدامى أنهم اكتشفوا الصلة بين العرب والإعراب الأمر الذي يشير أن قضية ارتباط الإعراب باللّسان العربي والعرب قضية معروفة وتساق مساق المسلّمات عند اللغويين الذين يعتد بآرائهم ونظرياتهم.

لقول أحد لشعراء:

وأن ترد أن تعرف الإعرابا * لتقتفي في نطقــك الصوابــا

فإنه بالرفــع ثـــم الجــر * والنصب والجر جميعا يجري

4- ماهيـــــــة الإعـــــــراب لـــدى المحدثيـــــــن

له عدة تعريفات كلها تدور حول مفهوم واحد هو:

1- تغير العلامة التي في أخر اللفظ بسبب تغير العوامل الداخلة عليه، وما يقتضيه كل عامل.[2]

2- تغير آخر الكلمة إلى أخرى بسب تغير العوامل الداخلة عليها.[3]

3- تغير حركة آخر الكلمة من رفع إلى نصب إلى جر، وفق تغير موقعها من الإعراب مثال ذلك: طَلَعَ الهِلاَلُ، شَاهَدَ النَاسُ الهِلاَلَ، فَرِحَ النَاسُ بِالهِلاَلِ.[4]

---

(1) - محمد عبد القادر الفاضــلي- الأشبــاه والنظائر فــي النحو (المكتبة العصرية- صيدا- بيروت (ج1) (ط1) (دس)) ص: 83-84.

(2) - عباس حسن- النحو الوافي (دار المعارف- القاهرة- مصر (ج1) (دط) (دس)) ص: 46.

(3) - عبد الهادي فضلي- مختصر النحو (دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة (ط1) (1984)) ص: 22.

(4) - محمد حي مغالسة - النحو الشافي (مؤسسة الرسالة - بيروت (ط3) (1997)) ص: 27.

4- تغير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظا أو تقديرا كما يقول صاحب الأجرومية.[1]

5- الإعراب دخل الكلام ليفرق بين المعاني من الفاعلية والمفعولية والإضافة ونحو ذلك.[2]

6- الإعراب هو العلامة التي تقع في آخر الكلمة وتحدد موقعها من الجملة، أي تحدّد وظيفتها فيها وهذه العلامة لا بدّ أن يتسبب فيها عامل معين ولما كان موقع الكلمة يتغير حسب المعنى المراد، كما تتغير العوامل، فإنّ علامة الإعراب تتغير كذلك.[3]

فالإعراب إذن هو تغير ضبط آخر الكلمات في الجملة العربية لتغير العوامل الداخلة عليها، أو لتغير موقعها في الجملة.

5- علامـــات و أنـــــواع الإعـــــراب

*** علامـــــات الإعراب**

الإعراب أثر ظاهر ومقدر يجلب العامل في آخر الكلمة أنواعه أربعة **الرفع النصب الجر الجزم.**

وتكون العلامات الإعرابية في آخر الكلمات، وقد تكون أصلية أو فرعية.

1- العلامات الأصلية:

- الرفع علامته الأصلية الضمة والنصب علامته الأصلية الفتحة ويكونان في الاسم والفعل المضارع معا.
- الجر: علامته الأصلية الكسرة ولا يكون إلاّ في الاسم فقط.
- الجزم علامته الأصلية السكون ولا يكون إلاّ في الفعل.

* ولهذه الأنواع **الأربعة** علامات **أصول** وعلامات **فروع:**

فالعلامات الأصول: الضمة للرفع، والفتحة للنصب، والكسرة للجر، والسكون للجزم.

---

(1) - محمد عبد العزيز شرف- محمد عبد المنعم خفاجي- النحو العربي لرجال الأعلام (دار الجيل - بيروت (ط1) (2001)) ص: 162.

(2) - إبراهيم مصطفى - إحياء النحو (دار الآفاق العربية - مصر (دط) (2003)) ص: 22.

(3) - عبده الراجحي- التطبيق النحوي (دار المعرفة الجامعية (ط2) (1999)) ص: 18.

2- والعلامات الفرعية للإعراب: وهي فروع عن الأصول وقد تكون علامة الإعراب حركة أو حرف أو حذف.

- الحركات الثلاثة: الضمة الكسرة والفتحة.
- الأحرف الأربعة: الألف والنون والياء والواو.
- الحذف: ويكون إما: بقطع الحركة (ويسمّى السكون).

وإما قطع الآخر: يكون في المضارع المعتل الآخر المسبوق بأداة جزم مثل [لَمْ يَرْضَ، لَمْ يَمْشِ، لم يدعُ].

وإما قطع النون: حذف النون في المضارع المنصوب أو المجزوم المتصل به ألف الاثنين أو الجماعة أو ياء المخاطبة.

(لم يكسلا، لا تكسلي، لن تكسلوا).

أ- **ما ينوب عن الضمة وهو ثلاثة:** الواو الألف والنون.

* أما الواو فتكون علامة للرفع في:

1- جمع المذكر السالم والملحق به: مثل قولك: حضر الناجحون.

فالناجحون: فاعل مرفوع الواو لأنه جمع مذكر سالم[1] **وقوله تعالى:** ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾.(*)

2- الأسماء الستة وهي: أبٌ، أخٌ، حمٌ، فمٌ، هنٌ، ذُو نحو: حَضَرَ أَبُوكَ.

حضر: فعل ماض مبني على الفتح.

أبوكَ: فاعل مرفوع بالواو لأنه من الأسماء الستة وهو مضاف والكاف: ضمير مبني على الفتح في محل جرّ مضاف إليه.

* أما الألف فتكون علامة للرفع في المثنى والملحق به نحو: حضرَ الطالبانِ.

فالطالبان: فاعل مرفوع بالألف لأنه مثنى.

- وفي قسمنا اثنانِ وثلاثونَ تلميذاً.

---

(1) - عبد الله أحمد جاد الكريم- الدرس النحوي في القرن العشرين (دار النشر - بيروت (ط1) (2002)) ص: 10-11.

(*) - سورة الكهف الآية: (46).

- أم ثبوت النون فيكون علامة للرفع في الفعل المضارع إذا اتصل به ضمير التثنية أو ضمير الجميع أو ضمير المؤنث المخاطبة نحو: تَفعلانِ، يَفعلانِ، تَفعلونَ يَفعلونَ، تَفعلِينَ... وتعرف هذه الأفعال بالأفعال الخمسة.[1]

ب- ما ينوب عن الفتحة:

ينوب عن الفتحة أربعة: الكسرة الألف الياء وحذف النون.

كقولك: رأيت أبوك يؤم المصلين والمصلياتِ فلن يتخلفوا عنه.

فالألف في أباك، والياء في المصلين والكسرة في المصليات، علامات فرعية تنوب عن الفتحة فهي علامات للنصب.

وقولك لن يتخلفو ا عنه:

- فيتخلفوا: فعل مضارع منصوب بلن، وعلامة نصبه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة، و الواو ضمير متصل في محل رفع فاعل.
- فحذف النون هنا علامة فرعية للنصب ثابت عن الفتحة التي هي الأصل.

ج- ينوب عن الكسرة في الجر : اثنان الفتحة والياء.

- كقولك: مررتَ بإبراهيمَ وإسماعيلَ.
- فكل من إبراهيم وإسماعيل، مجرور بمن وعلامة جره الفتحة النائبة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف.
- وقولك أيضا ذهبت إلى الناجحينَ: اسم مجرور بالياء لأنه جمع مذكر السالم.

د- ينوب عن السكون في الجزم : علامة واحدة فقط فرعية وهي الحذف ويشمل:

- حذف حرف العلة في آجر المضــارع الناقص (أي معتل الآخر) كقولك لم يقض لم ينجحُ فكل من الفعلين مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره فالأول آخر ياء، والثاني آخره واو.[2]

---

[1] - محمد عيد - النحو المصفى (عالم الكتب بالقاهرة (ط1) (2005)) ص: 115-116.

[2] - إبراهيم قلاتي- قصة الإعراب (دار الهدى - عين مليلة - الجزائر (ط1) (2003)) ص: 52.

- حذف النون في الأفعال الخمسة عندما يدخل عليها جازم كقوله تعالى: ﴿**يَنْهَاكُمُ اللّهُ عَنِ الّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ**﴾.(*)
- فكل من يقاتلوا ويخرجوا مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة، فالأفعال الخمسة ترفع بثبوت النون وتجزم بحذفها.

ملاحظة: ويخرج عن هذا الأصل:

- **الأسماء الستة**: ترفع بالواو وتنصب بالألف وتجر بالياء.
- **المثنى** يرفع بالألف وينصب ويجر بالياء.
- **الاسم الممنوع من الصرف**: يجر بالفتحة نيابة عن الكسرة.
- **جمع المذكر السالم**: يرفع بالواو وينصب ويجر بالياء.
- **جمع المؤنث السالم**: ينصب بالكسرة نيابة عن الفتحة.
- **الفعل المضارع الناقص (المعتل الآخر)**: يجزم بحذف آخره.(1)

(*) - سورة الممتحنة الآية: (8).

(1) - محمد عيد - النحو المصفى المرجع السابق ص: 118-119.

الفصل الأول: ظاهــرة الإعراب اتجاه النحو خاصة واللغة عامــة

*** أنـــــــــواع الإعـــــــراب**

1- الإعراب الظاهر: ويقصد به ظهور علامات الإعراب في آخر الكلمات وقد تكون هذه الكلمات إما أصلية، أو فرعية نوجز القول عنها على النحو التالي:

أ- العلامات الأصلية: الرفع علامته الأصلية الضمة، والنصب علامته الأصلية الفتحة والجر علامته الأصلية الكسرة، والجزم علامته الأصلية السكون.

ب- علامات الإعراب الفرعية: وهي عبارة عن أربعة حروف وحركتين.

- الحروف: **الواو:** علامة الرفع في الأسماء الستة، وجمع المذكر السالم.

الألف: علامة الرفع في المثنى، وعلامة النصب في الأسماء الستة.

الياء: علامة النصب في المثنى وجمع المذكر، وعلامة الجر في الأسماء الستة.

النون: علامة الرفع في الأفعال الخمسة.

- الحركتان: **الفتحة:** علامة النصب، ولكنها تأتي فرعية وتجر الممنوع من الصرف.

الكسرة: علامة الجر ولكنها فرعية وتنصب جمع المؤنث السالم.[1]

2- الإعراب التقديري: الإعراب التقديري أثر غير ظاهر على آخر الكلمة ومن أسبابه الثقل والتعذر واشتغال المحل بالحركة المناسبة "واشتغال المحل بحركة الحكاية" أي حكايتك الفظ الواقع في الكلام كما هو واقع. واشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد.

- الأسماء والأفعال التي يجيء فيه الإعراب المقدر هي:

* الاسم المقصور، الاسم المنقوص، الاسم المضاف إلى الياء المتكلم الفعل المضارع المعتل الآخر بالألف أو الياء أو الواو، وذلك على التفصيل التالي:

أولا: الاسم المقصور: وهو اسم معرب آخره ألف لازمة مفتوح ما قبلها، وذلك نحو: مصطفى عصا التقوى الهدى الرؤيا، فالاسم المقصور، تقدر عليه الضمة رفعا والفتحة نصبا والكسرة جرا للتعذر، نقول: حضرَ مصطفَى، رأيتُ مصطفَى مررتُ بمصطفَى.

ثانيا: الاسم المنقوص: هو اسم معرب آخره ياء لازمة مكسور ما قبلها وذلك نحو: القاضي الهادي، فالاسم المنقوص تقدر عليه الضمة رفعا والكسرة جر للثقل.

---

[1] - مصطفى الغلايني- جامع الدروس العربية (المكتبة العصرية- بيروت- (ج1) (ط1) (2002)) ص: 26.

الثقل: هو صعوبة ظهور الضمة أو الكسرة على حرف العلة الذي ينتهي به الاسم المنقوص وهو الياء، أما في حالة النصب: فتظهر الفتحة على الياء نحو: رأيتُ القاضيَ.

والفعل المضارع المعتل الآخر هو ما كان آخره حرف علة، المعتل بالألف: يرفع بضمة مقدرة على الألف، ينصب بفتحة مقدرة على الألف: الجزم بحذف حرف العلة وكذلك المعتل بالواو والمعتل بالياء.[1]

إعراب المضاف إلى ياء المتكلم:

يعرب الاسم المضاف إلى ياء المتكلم (إن لم يكن مقصورا أو منقوصا، أو مثنى أو جمع مذكر السالم) –في حالتي الرفع والنصب – بضمة وفتحة مقدرتين على آخره يمنع من ظهورهما كسرة المناسب نحو: ربيَ الله.

– أما في حالة الجر فيعرب بالكسرة الظاهرة على آخره نحو: قولك: لزمتُ طاعة ربي.[2]

3– الإعراب المحلي:

وهو تغير اعتباري بسبب العامل، فلا يكون ظاهرا ولا مقدرا، ويدخل تحت هذا الإعراب أمثلة كثيرة في اللغة والنحو منها جميع أنواع المبنيات من الأسماء نحو: أسماء الإشارة والموصولة والضمائر نحو: هذا قلمٌ، ووجدتُ هذا القلمَ، كتبتُ بهذا القلم، فكلمة ذا في هذا اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ في المثال الأول. وفي محل نصب مفعول به في المثال الثاني، وفي محل جر بالياء في المثال الثالث. وهناك بعض الأفعال المبنية (كالماضي الواقع فعل شرط، أو جوابه فإنه مبني في محل جزم) وكذلك بعض الجمل كالتي تقع خبرا أو صفة أو حالا...

أو الحروف، وفعل الأمر والفعل الماضي، الذي لم تسبقه أداة شرط جازمة وأسماء الأفعال، والأسماء الأصوات، لا يتغير آخرها لفظا ولا تقديرا ولا محلا لذلك يقال: إنها لا محل لها من الإعراب.

---

[1] - زين كامل الخوسيكي- قواعد النحو والصرف (دار المعرفة الجامعية (ط1) (2005)) ص: 20-21.

[2] - المرجع نفسه، ص: 22.

4- إعراب المحكي:

وهي إما حكاية كلمة، أو حكاية جملة، وكلاهما يحكى على لفظة فحكاية الكلمة كأن يقول (كتبتُ: يعلمُ) أي: كتبت هذه الكلمة.

ف: يعلمُ – في الأصل– فعل مضارع، مرفوع لتجرده من الناصب والجازم، وهو هنا محكي، فيكون مفعولا به لكتبت. ويكون إعرابه تقديريا منع من ظهورها حركة الحكاية.

وإذا قلت (كتبَ: فعل ماضي) فكتب هنا محكية، وهي مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة منع من ظهورها حركة الحكاية.

وإذا قيل لك: أعرب (سعيداً) من قولك ‹‹رأيتُ سعيدًا ›› فنقول سعيدًا، مفعول به.

- تحكي اللفظ وتأتي به منصوبا، مع أن سعيدًا في كلامك واقع مبتدأ وخبره قولك: مفعول به إلا أنه مرفوع بضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها حركة الحكاية أي حكايتك اللفظ الواقع في الكلام كما هو واقع.[1]

[1] - عبده الراجحي- التطبيق النحوي (دار المعرفة الجامعية (ط2) (1999)) ص: 32-33.

6- الاختـــــلاف الظـــاهر بين كـــل من الإعـــراب والنحـــو

لقد اختلط مفهوم **النحو** و**الإعراب** اختلاطا بينا في كثير من كتب النحو واللغة حتى إن النحو سمي **إعرابًا**، و**الإعراب نحوًا**، فقد جاء في اللسان: ‹‹قال ابن السكيت نحا نحوه إذا قصده، ونحا الشيء ينحاه وينحوه إذا حرفه، ومنه سمي النحوي لأنه يحرف الكلام إلى وجوه الإعراب››.[1]

وجاء في الوساطة أيضا نص يفيد أنهم، فهموا النحو على أنه الإعراب فبعد أن أورد **الجرجاني** بعض أبيات للمتنبي دعته الضرورة الشعرية فيها أن يهمل القواعد النحوية، يورد كلام خصم المتنبي: ‹‹قد خلط هذا الرجل[*] في احتجاجه، وجمع بين أمور مختلفة، ودلنا عن بعده عن تحصيل المعاني، وذهابه إلى مقاييس النحو، وأجرى كلامه إلى غاية توجب قلب اللغة ونقض مباني العربية، لأنه جعل الشعراء بزعمه أمراء الكلام وأباح لهم التصرف على غير ضرورة، وهذه القضية إن سبقت على اطراد. قياسها زال نظام الإعراب، وجاز للشاعر أن يقول ما يشاء، وأن يتناول ما أراد عن قرب، فيثقل كل مخفف ويخفف كل مثقل، ويحذف ويزيد ويغير الجموع، ويتحكم في التصريف، ويتعدى ذلك إلى حركات الإعراب، ويتجاوزه إلى ترتيب الحروف... ››.[2]

ومما يدل على ذلك أيضا ما جاء في شرح المفصل: ‹‹ويرون الكلام في معظم أبواب أصول الفقه ومسائلها مبنيا على علم الإعراب والتفاسير مشحونة بالراويات عن **سيبويه والأخفش والكسائي** وغيرهم من النحويين البصريين الكوفيين››.[3]

ويزداد الأمر وضوحا عندما يتصفح المرء كتابا عنوانه "**سر صناعة الإعراب** " **لابن جني** فيتوقع أن يكون موضوع الكتاب دراسة إعرابية مفصلة في نحو اللغة العربية ولكنه يفاجأ بأن موضوع الكتاب دراسة صوتية لحروف المباني أو حروف الهجاء مرتبة ترتيبا أبجديا، ويأتي **ابن جنّي** في مواضع قليلة من كتابه ببعض أحكام في النحو.

---

[1]- ابن منـظور- لسـان العرب (دار صادر للطباعة والنشر - بـيروت - لبنان- (ج6) (ط1) (دس)) المادة المـعجمية: (نحا) ص: 155.

[*] - يقصد المدافع عن المتنبي في أن يهمل القواعد النحوية بحجة أنه شاعر، يباح له ما لا يباح للناشر.

[2] - القاضي علي بن عبد العزيز- الوساطة بين المتنبي وخصومه حققه محمد الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي (دار إحياء الكتب العربية (ط3) (دس)) ص: 452-453.

[3] - ابن يعيش - شرح المفصل (دار الطباعة المنيرية - مصر (ج1) (دط) (دس)) ص: 8.

ويفتح الباحث أيضا أشهر كتب **ابن هشام** "**مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب** " فيمن النفس بدراسة تفصيلية خالصة لتلك الأعاريب ونشأتها والسبب في تعددها، ولكنه يفاجأ أيضا بأن الكتاب يتناول دراسة لبعض الكلمات –أسماء وحروف– التي تسبب مشاكل في النحو واللغة، مرتبة حسب حروف المعجم ويفصل **ابن هشام** القول فيها من ناحية النحو والإعراب، والتصريف واللغة، ومثل كتاب **ابن هشام** "**إعراب القرآن**" المنسوب إلى الزجاج (**أبي إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل النحوي ت 316هـ**) فإن عنوانه "**إعراب القرآن** " يوحي بأنه يتضمن إعراب الآيات القرآنية أو الآيات التي فيها إشكال في إعرابها، ولكن الكتاب يتضمن تسعين بابا تشمل مسائل في القراءات وفي الفقه وفي نظام الجملة من حيث تقديمها وتأخيرها، كل هذا بجانب الإعراب وهو الغرض من تأليف الكتاب كما يبدو من عنوانه.[1]

وهذا ما يدعوني للتساؤل: **ما السبب في الخلط بين النحو والإعراب؟**

السبب يرجع إلى أن الإعراب، كان سبب في نشأة النحو فسميّ باسمه واستأثر الإعراب باهتمامهم، وأصبح المحور الذي يدور حوله النحو وغيره من الدراسات اللغوية ودليل ذلك واضح في الروايات المختلفة لنشأة اللحن، إذ أن اللحن في الإعراب هو الذي حدا **بأبي الأسود الدؤلي** أن يصنع علم النحو.

فقد روي: «أخبرنا جعفر بن محمد قال أخبرنا إبراهيم بن حميد قال: حدثنا أبو حاتم السجستاني قال حدثنا محمد بن عباد المهلبي عن أبيه: سمع أبو الأسود رجل يقول: ﴿**أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ**﴾[*] بكسر اللام فقال لا أظن يسعني إلا أن أضع شيئا أصلح به نحو هذا، أو كلام هذا معناه، فوضع النحو».

وروي أن الذي أوجب عليه الوضع في النحو أن ابنته قعدت معه في يوم قائظ شديد الحر فأرادت التعجب من شدة الحر، فقالت " ما أشدُّ الحر" فقال أبوها: القيظ، وهو ما نحن

---

[1] - أحمد سليمان ياقوت- ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم (دار المعرفة الجامعية (دط) (2003)) ص: 16.

[*] - سورة التوبة الآية (3).

فيه يا بنية، جوابا عن كلامه لأنه استفهام، فتحيرت وظهر لها خطأها فعلم **أبو الأسود** أنها أرادت التعجب، فقال لها قولي يا بنية: ما أشدَ الحر، فعمل باب التعجب وباب الفاعل وباب المفعول به غيرها من الأبواب، وذكر أبن أبي سعد عن عمر بن شبة عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود، قال: أوّل من وضع العربية **أبو الأسود الدؤلي** جاء إلى زياد بالبصرة، فقال إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم، وتغيرت ألسنتهم أفتــأذن لي أن أضع للعرب كلاما يقيمون به كلامهم؟ قال: لا فجاء رجل إلى زياد، فقال أصلح الله الأمير! توفي أبانا وترك بنون، فقال: زياد توفي أبانا وترك بنون! أدع لنا **أبا الأسود** فقال: ضع الناس الذي كنت نهيتك عنه أن تضع لهم.[1]

وروي أن ابن أبي سعد، قال حدثنا علي بن محمد الهاشمي، قال سمعت أبي يذكر قال: "كان بدء ما وضع أبو الأسود الدؤلي النحو أنه مر به سعد – وكان رجلا فارسيا قدم البصرة مع أهله، وكان يقود فرسه– فقال: مالك يا سعد؟ ألا تركب؟ فقال (فرسي ضالع) فضحك به من حضره، فقال-أبو الأسود-: هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام ودخلوا فيه وصار لنا إخوة، فلو علمناهم الكلام! فوضع بابا الفاعل والمفعول ولم يزد عليه".

وروي أيضا أن **أبا الأسود الدؤلي** قعد إلى غلام فقال له أبو الأسود: ما فعل أبوك؟ فقال: أخذته الحمى، ففضحته فضحا وطبخته طبخا، وفنخته فنخا فتركته فرخا. قال: فما فعلت امرأته التي كانت تشاره ونهاره وتضاره وتزاره؟ قال:! طلقها، فتزوجت غيره فرضيت وحضيت وبطيت، قال أبو الأسود: وما بطيت يا بني؟ قال الغلام: حرف من اللغة لم يبلغك، قال يا بني ما لم يبلغ عمك فاستره.

[1] - أحمد سليمان ياقوت- ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم، مرجع نفسه، ص: 16-17.

وكتب كاتب لأبي موسى الأشعري إلى عمر " من أبو موسى" فكتب إليه عمر: سلام عليك، أما بعد فاضرب كاتبك سوطا واحدا، وأخر عطائه سنة.[1]

وبعد سردنا لهذه الروايات نرى أن كل هذه اللحون تختص بضبط آخر حرف من الكلمة وهو الإعراب، فهذه الظاهرة إذن هي التي دفعت **أبا الأسود الدؤلي** إلى وضع علم النحو، ومن ثمة فالإعراب سبب نشأة النحو. وما يؤكد ذلك أن **أبا الأسود الدؤلي** قد بدأ بإعراب القرآن (أي وضع الحركات الإعرابية على الحروف) ثم عرج من ذلك إلى وضع المختصر في النحو المنسوب إليه كما تدل هذه الرواية، فإنه "جاء إلى زياد فقال: أبغيني كاتبا يفهم عني ما أقول، فجيء برجل من عبد القيس فلم يرضى فهمه، فأتى بآخر من قريش فقال له: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فأنقط نقطة على أعلاه، وإذا ضممت فمي فأنقط نقطة بين يدي الحرف، وإذا كسرت فمي فجعل النقطة تحت الحرف فإن اتبعت شيئا من ذلك غنه فجعل النقطة نقطتين، ففعل"[2].

وقد ترتب عن هذا أن الإعراب صار هو المحور الذي تدور حوله الدراسات النحوية حيث أن الأمر قد وصل إلى أن كتب النحو قد بوبت على حسب الأبواب الإعرابية، وإن اختلفت المعاني، فالمرفوعات في قسم، يتبعها المنصوبات، ثم يليها المجرورات.

وبعد أن فرغنا من بيان اهتمام النحاة بالإعراب، ومظاهر هذا الاهتمام نود أن نلقي الضوء على المفهوم الصحيح لكل من النحو والإعراب.

---

[1] - أبو الطيب اللغوي- مراتب النحويين واللغويين - تقديم وتعليق محمد غرب (دار الآفاق العربية (دط) (2003)) ص: 17.

[2] - الزبيدي - طبقات النحويين واللغويين - تحقيق أبو الفضل إبراهيم (دار المعرفة للطباعة والنشر (ط1) (دس)) ص: 16-17.

الفصل الأول: ظاهــرة الإعراب اتجاه النحو خاصة واللغة عامــة

ولقد سبق أن بينا المعاني اللغوية الاصطلاحية للإعراب ومع ذلك فلا بد من العودة إلى بعض تلك المعاني، أوردها بإيجاز عبورا إلى موضوع مهم هو **علاقة الإعراب بالنحو**، والصلات التي تشد أحد المصطلحين إلى الآخر، والمعاني التي يؤديها هذا المصطلح في النحو.[1]

ولعل من نافلة القول أن نذكر أن للإعراب في اللغة عدة معان: أهمهما وألصقها بهذا الموضوع الإفصاح والإبانة، أما في الإصطلاح " فهو أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في آخر الاسم المتمكن والفعل المضارع".[2]

هذا عن معنى الإعراب في اللغة والاصطلاح، أما النحو فقد عرفه **ابن جني:** " هو انتحاء سمت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع، والتحقير والتكسير والإضافة، والنسب، والتركيب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها، وأن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم عنها رد به إليها ".[3]

وما يمكن أن أقوله في الأخير أن الإعراب يدور حول ما يلحق أواخر الكلام من حركات، وما يقترن بهذه الحركات من معان كالفاعلية والإضافة...الخ وبهذا فهو عنصر من عناصر النحو، **فالنحو كل والإعراب بعض هذا الكل**، وهو أخص من علم النحو. هذا الأخير الذي يتطرق إلى قضايا وموضوعات عدة لا يتطرق إليها الإعراب؛ إذ يستوعب أقسام الكلمة من اسم وفعل وحرف، ويتناولها بتفصيل واسع ونقص شديد فيعدد أنواعها ويصف خصائصها ويبين طرق استعمالها، ويقرن ذلك بشواهد من كلام العرب الفصيح.

وأنه لمن الخطأ البالغ أن نبقى نتوهم أن **النحو هو الإعراب** وأن **الإعراب هو النحو** وأن دراسة النحو تغنى عن دراسة الإعراب، أو أنها وسيلة لدراسة الإعراب والإلمام بأصوله وقواعده، فعلى الرغم من أن الإعراب نشأ في حجر النحو، وأنه ابنه الشرعي

---

(1) - الزبيدي - طبقات النحويين واللغويين - تحقيق أبو الفضل إبراهيم - المرجع نفسه ص: 19.

(2) - ابن هشام الأنصاري- تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد- شرح شذور الذهب (دار رحاب للنشر (دط) (دس)) ص: 33.

(3) - ابن جني - الخصائص- تحقيق عبد الحميد هنداوي- (دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان (ج1) (ط1) (2001)) ص: 88.

يبقى من الضروري وضع الحواجز الفاصلة بينهما، وتبين الحدود التي يبتدئ عندها أحدهما وينتهي الأخر. **فبين النحو والإعراب عموم وخصوص كما يقول المناطقة أو هما وجهان مختلفان لعملة واحدة.**[1]

7- أهميـــــة الإعـــــــــــــراب

لقد تميزت اللغة العربية بالإعراب، فلا يمكن تصور لغة عربية بدون إعراب، فمنذ نشأة علم النحو، ومنذ اتخذ النحو حركات الإعراب، علامات لمواقع الكلمات في الجملة ظهر اتجاه واضح فيما يكتبه النحاة لإشادة بهذا الإعراب، ولفت النظر إليه، والحديث عن أهميته وتصوير دوره في صياغة الجملة العربية وليس في نهج النحاة هذا أية غرابة أو استغراب، ذلك لأن كل من يكتب عن علم أو يؤلف فيه، يحاول أن يبين قيمته، وأن يرفع من قدر المقبلين عليه والمشاركين فيه، والذي يمعن النظر في كتب النحو وتاريخه يجد نصوصا كثيرة، وحسبنا أن نورد هذا النص الشعري **للخليل بن أحمد الفراهيدي** ت 175 هــ في هذا الموضوع حيث قال:

لا يكون السري مثل الدنيّ ولا ذو الذكــاء مثل الغبـــــي
قيمة المرء كل ما يحسن المرء قضاء من الإمام علـــــي
أي شيء من اللباس على ذي السر أبهى من اللسان المهي؟
ينظم الحجة الشتية في السلك من القول مثل عـــقد الهــدّي.
وترى اللحن بالحبيب أخي الهيئة مثل الصدى على المشرفي.
فاطلب النحو للحجاج وللـــشعر مقيما والمـــسند المروي
والخطاب البليغ عند حوار القول يـــزهى بمثــله في الندى.
وارفض القول من طغام جفوا عنه فعادوه نـــصبة للنبـــي[2]

---

[1] - جميل علوش- الإعراب والبناء (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت- لبنان (ط1) (1997)) ص:81.

[2] - المرجع نفسه ص: 45.

وصفوة القول في هذه المقطوعة الشعرية أن–الخليل– يوازن فيها بين الشريف والدنئ من الناس على أساس أن للشريف سيمات يعرف بها وللدنيء كذلك سيمات يعرف بها، وهو يوازن كذلك بين الذكي والألكن، وقد خانه الشعر فلم يكن دقيقا في الموازنة بين هذين، لأن الذكي يقابله البليد ولا يقابله الألكن.

ويظهر من سياق الكلام أنه كان ينوي الموازنة بين الفصيح وغير الفصيح، ولكن الوزن والقافية خذلاه، ثم يشير الخليل بن أحمد إلى ما أثر عن علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– من أنه قال: قيمة كل امرئ ما يحسنه؛ فيستحسنه ويشيد به. ثم يقول أنه لا ثوب أبهى على الإنسان من اللسان الفصيح. وهنا خذله التعبير أيضا فقال: اللسان البهي بدل اللسان الفصيح الذي يصح به الكلام.

ويذكر من صفات اللسان الفصيح أنه ينظم الكلام المنثور فيضفي عليه من الجمال ما يتسم به العِقد في توهجه، ثم ينتقل الخليل من الفصاحة إلى اللحن، فيبين أن اللحن يجلب لصاحب ذي الحسب الرفيع، الجميل الطلعة من القبح ما يجلبه الصدأ للحسام المشرفي، ولذلك أرى أن الخليل يحض على تعلم النحو لما له من فائدة في المحاورة وفي نظم الشعر، وفي رواية الحديث النبوي وكذلك في الخطابة التي يعتز بها صاحبها في النادي. وينهي الخليل مقطوعته الشعرية، بنهيه عن ترك النحو، كما يفعل بعض طغام الناس الذين يهجرون النحو.

ويبدو في المقطوعة السابقة ما يعيره الخليل بن أحمد من أهمية لدراسة النحو ويشدد على ما يكتسبه دارس النحو من فصاحة تكسبه هيبة في المجلس، كما تمنحه قدرة على الحوار والخطابة ونظم الشعر.[1]

وتجنبه الوقوع في اللحن ومخالفة القياس اللغوي؛ اللذان ينزلان بقدر الشريف ويفقدانه الهيبة والهيئة. ومما ورد بهذا الصدد قول القلقشندى: " إن الأديب إذا أتى من

[1] - شوقي ضيف- تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) (دار المعارف القاهرة- مصر- (ج1) (ط2) (1984)) ص: 160.

البلاغة بأعلى رتبة ولحن في كلامه ذهبت محاسن ما أتى به وانهدمت طبقة كلامه، وألغى جميع ما حسنه ووقف عند ما جهله..."[1].

ومادام الإعراب، وهو مقترن بالفصاحة اقتران لا ينفصم بهذه الأهمية، ومادام الذين يراعونه ويلتزمونه بهذه المنزلة من السمو ورفعة القدر عند العرب فلا بدع أن نجد مؤرخي النحو والمؤلفين فيه، يحاولون إبراز أسباب العناية بالنحو والإعراب فمن هؤلاء **ابن فارس** الذي يشيد بالأعراب في غير تحفظ ولا حرج ومما يقوله في ذلك:" من العلوم الجليلة التي اختصت بها العرب، الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام؛ ولولاه ما ميز فاعل من مفعول، ولا مضاف من منعوت ولا نفي من استفهام ولا صدر من مصدر ولا نعت من توكيد".

ويقول في موضع آخر: " الإعراب هو الفارق بين المعاني، ألا ترى أن القائل إذا قال ما أحسن زيد... لم يفرق بين التعجب والاستفهام والذم إلا بالإعراب...".[2]

وقال ابن قتيبة في المعنى نفسه: " وللعرب الإعراب الذي جعله الله وشيا لكلامها وحلية لنظامها، وفارقا في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين والمعنيين المختلفين كالفاعل والمفعول لا يفرق بينهما؛ إذا تساوت حالاهما في إمكان أن يكون الفعل لكل أحد منهما إلا بالإعراب ولو أن قائلا قال: هذا قاتِلٌ أخيِ (بالتنوين). وقال آخر: هذا قاتِلُ أخيِ (بالإضافة)، لدل بالتنوين على أنه لم يقتله، وبحذف التنوين على أنه قتله...".[3]

كما تكمن أهميته في فهم المعاني وإدراك التراكيب كما ذكر **الشيخ أحمد رضا** إلى ذلك قوله: "وكذلك إذا قلت: علم زيد خالد الكتاب لا تعلم أيهما المعلم وأيهما المتعلم. فإذا

---

(1) - حليمة أحمد عمايرة - الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة (دار وائل للنشر والتوزيع (ط1) (2006)) ص: 11.

(2) - احمد بن فارس- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها - حققه مصطفى الشويمي (مؤسسة بدران للطباعة والنشر- لبنان- (دط) (1964)) ص: 77.

(3) - احمد بن فارس- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها - حققه مصطفى الشويمي، مرجع نفسه ص: 76.

رفعت ونصبت، علمت أن المرفوع هو المعلم والمنصوب هو المتعلم تقدم أو تؤخر لا فرق وبقي التقديم والتأخير فائدة خاصة تتعلق بالبيان، كما شرحه علماء الفصاحة والبلاغة. وإذا طرحت الحركات جانبا وجعلت دلالة على الفاعل تقدمه، وعلى المفعول تأخره بأن يكون الفاعل واجب التقديم مطلقا فإذا كان مقصورين لا تظهر عليهما علامات الإعراب فاتتك النكات البيانية من المعاني يفيدها تقديم ما حقه التأخير، أو العكس. وهي إفادات تأتينا من ترتيب الجملة دون إفادة في لفظها، وهذا من خصائص العربية فيما أحسب..."[1].

أما بالنسبة إلى دور الإعراب في فهم المعنى خاصة في القرآن الكريم فمثلا قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ...**﴾ [*]. فإن لم نضع وننطق فتحة على لفظ الجلالة (اللهَ)، وضمة على (العلماءُ) لفسد المعنى وبخاصة إذا أبدلت مواقع العلامة الإعرابية. ونفهم من هذا كله أن **الإعراب** ضروري لفهم الكلام العربي، فنحن لا نستطيع أن نعرف الفاعل من المفعول، ولا المضاف من المضاف إليه ولا اسم كان من خبرها دون تحليتها بحركات الإعراب، بيد أن الأمثلة التي يسوقها النحاة لا تكفي لتأكيد الظاهرة أي أن المثال الذي يضربونه على ضرورة وجود الإعراب، وهو ما أحسن زيدٌ في النفي وما أحسن زيدًا في التعجب، وما أحسن زيدٍ في الاستفهام.

هذا المثال لا يكفي لتأكيد ظاهرة عريقة في اللغة العربية. وقد يقال: أنه ليس المثال الوحيد فنقول: إن الأمثلة التي يسوقها النحاة لا تتجاوز العشرة عدا، فهل عشرة أمثلة تكفي لتأكيد وجود ظاهرة؟

لا يكون احتجاج المنادين بإسقاط الإعراب بأنهم يفهمون الكلام العربي، حتى لو لم يكن معربا، مؤهلا لأن يكون مقبولا أو لأن يجد له ما يسوغه؟

قد يكون الاحتجاج صحيحا لو كان الفهم هو الدلالة الوحيدة على وجوب وجود الإعراب، إذ أن للكلام درجات يرقى بعضها إلى القمة وينحدر بعضها إلى القاع. يكون

---

[1] - مصطفى الغلاييني- جامع الدروس العربية (المكتبة العصرية- بيروت (ط1) (2002)) ص: 09-10.

[*] - سورة فاطر الآية (28).

التفاوت في الإجادة والإبداع لا في الفهم والتفهيم وحدهما، بل في قيم مختلفة تتوفر في الكلام فتعجل له قيمة، وتخلو منه فيفقد تلك القيمة وتنبثق هذه القيم من لمسات فنية لها صلة بالفصاحة أو بالوزن والقافية أو بالإيقاع أو الرقة أو العذوبة أو الفهم والتفهيم.[1]

وقد أشار **الجاحظ** إلى ذلك يقوله: "فمن زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل جعل الفصاحة واللكنة والخطأ والصواب والإغلاق والإبانة، الملحون والمعرب: كله سواء وكله بيانا... فنحن قد نفهم بحمحمة الفرس كثيرا من حاجاته ونفهم بضغاء السنور كثيرا من إرادته...".[2]

وانطلاقا من هذا المفهوم، يرى **الدكتور أحمد حاطوم** في دراسة مهمة له عن ظاهرة الإعراب «...أنه ليس من شرط الإعراب أن يكون إعرابا دلاليا أي من أجل إيصال المعنى؛ قد يكون إعرابا تركيبا أو شكليا أو جماليا، و يقرر في النهاية أن الإعراب الجمالي يتميز إذا قورن بالإعرابيات المذكورة، بأنها أوسعها مدى، وأنه الكلام الذي يكون فيه الكلام الأدبي، ولا سيما ما كان منه شعرا موزونا، إنما يشكل عنصرا صوتيا لفظيا متسعا ...» ويضيف: " الإعراب الجمالي، في الآثار الأدبية التي يكون فيها، هو عنصر ليس لهذه الآثار أن تتكامل إلا به، هو بهذه الوظيفة يتقدم على كل واحد من الإعرابيات الثلاثة التي قارناه بها"[3]، ويقصد **الدكتور حاطوم** بذلك أنه قد يكون المعنى مفهوما دون الإعراب فعلا، غير أن الكلام لا يحمل من القيم الجمالية الموسيقية والصوتية ما يحمله إذا كان معربا، ولذلك كان من غير الممكن الاستغناء عن الإعراب في النصوص الأدبية

---

(1) - جميل علوش- الإعراب والبناء (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت- لبنان (ط1) (1997)) ص:48-49.

(2) - الجاحظ - البيان والتبيين- تحقيق عبد السلام محمد هارون (دار الجيل- بيروت (ج1) (دط) (دس)) ص: 162.

(3) - أحمد حاطوم- كتاب الإعراب محاولة جديدة لاكتناه الظاهرة (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر - بيروت- لبنان (ط2) (1992)) ص: 304.

الراقية الشعرية والنثرية، لأنها بهذا الإعراب تكون ترفل في ثياب من الفن الموسيقي والبلاغي لا يستطيع أن يرفل فيها الكلام المجرد من الإعراب، مهما كابر المكابرون.

ثم إن الإعراب جزء أساسي من اللغة العربية، وليس من الممكن الاستغناء، كما أن ليس من الممكن الاستغناء عن حروف العلة في اللغة الإنجليزية أو الفرنسية، فليس من الممكن الاستغناء عن الحركات الإعراب في اللغة العربية، لأنها جزء منها، حتى ولو لم يتم إثباتها في الكلام، و يبدو أحيانا أن تحريك أواخر الألفاظ خيار لا مناص من اللجوء إليه إذ أنه ليس من الممكن الانتقال من الساكن إلى الساكن فيها تعقبه كلمة مبدوءة بهمزة الوصل من دونه، وهكذا يبدو أن الإعراب بوظائفه المختلفة جزء أساسي من بناء الكلام وليس من الممكن الاستغناء عنه.

ويبدو مما سلف أن للإعراب، عدا أهميته في تحديد معاني الكلام، أهمية لفظية نطقية، إذ هو الوسيلة الوحيدة لدفع التقاء الساكنين اللذين لا تجيز قواعد العربية التقاء هما على الرغم من أن بعض تلك الحركات لا تعد حركات إعرابية هذا علاوة على أن الإعراب هو عدة الخطيب والشاعر حين يسمعان هز الجمهور وتحريك أشجانه، إذ أنهما عندئذ بحاجة إلى الكثير من فصاحة اللسان ونصاعة البيان، ولا يمكن أن تتحقق هاتان السمتان، إلا بمراعاة قواعد الإعراب وقوانينه.[1] وبوسعي أن أحدد أوجه الأهمية التي يحققها الإعراب على النهج التالي:

أهمية سياقية في تحديد معاني الكلام وتبيان فاعله من مفعوله.

أهمية لفظية نطقية في دفع التقاء الساكنين اللذين لا تجيز قواعد العربية التقاءهما.

أهمية إيقاعية موسيقية تتيح للمنشد أن ينشد.

أهمية عروضية تختص بتفعيلات البحور والأوزان، إذ ليس من الممكن استيفاء أجزاء تفعيلات دون الحركات الإعرابية.

أهمية صوتية تمكن الخطيب والشاعر من هز الجمهور وتحريك أشجانه إذ أنهما عندئذ بحاجة إلى كثير من فصاحة اللسان ونصاعة البيان، ولا يمكن أن تتحقق هاتان إلا بمراعاة الإعراب ونطق حركاته.

---

[1] - أحمد حاطوم- كتاب الإعراب محاولة جديدة لاكتناه الظاهرة- المرجع نفسه ص: 305.

8- آراء بعـــض النحـــاة فـــي الإعـــراب

امتدح **ابن قتيبة (ت 276هـ)** اللغة العربية وفضلها لأن لها الإعراب الذي جعله الله وشيا لكلامها وحلية لألفاظها، وفارقا في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين والمعنيين المختلفين، كالفاعل والمفعول لا يفرق بينهما إذا تساوت حالاهما في إمكان التركيب أن يكون لكل واحد منهما إلا بالإعراب لو أن قائلا قال قاتلٌ أخي بالتنوين، وقال آخر هذا قاتلُ أخي بالإضافة لدل التنوين على أنه قتله.[1]

ويدافع **الزجاجي (ت337 هـ)**عن الإعراب قائلا: ‹‹فإن قال قائل: قد ذكرت أن الإعراب داخل عقب الكلام، فما الذي دعا إليه واحتيج إليه؟ فالجواب أن يقول: إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني، فتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ومضافة إليها، ولم يكون في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني، بل كانت مشتركة، جعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني، فقالوا:"ضربَ زيدٌ عمرًا" فدلوا برفع زيدٌ على أن الفعل له، وبنصب عمرو على أن الفعل واقع به، وقالوا: ضُربَ زيدٌ، فدلوا بتغير أول الفعل ذلك، أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه، وتكون الحركات دالة على المعاني...››.[2]

---

[1] - يوسف بكوش- مرشد الطـلاب فـي النـحو والإعراب (دار هومة - الجزائر (ط1) (2003)) ص: 7-8.

[2] - الزجاجي - الإيضاح في علل النحو- تحقيق مازن مبارك (القاهرة (دط) (1989)) ص: 69-70.

وقد أفاض **ابن جني (ت 392هـ)** في الكلام عن الإعراب في باب " **القول على الإعراب**" ودافع عنه حيث يقول عنه " إن الإعراب هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ ألا ترى أنك إذا سمعت: «أكرم سعيدُ أباه »، « وشكرا سعيدًا أبوه » علمت برفع أحدهما، ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرحا واحدا، لاستبهم أحدهما من صاحبه... ».[1]

ثم جاء **ابن فارس(ت395هـ)** فقال:" من العلوم الجليلة التي خصت بها العرب الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما ميز فاعل من مفعول، ولا مضاف من المنعوت، ولا تعجب من استفهام...». كذلك قوله: «فأما الإعراب، فبه تميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين وذلك أن قائلا لو قال:« ما أحسن زيد » غير معرب، و« ضرب عمرو زيد» غير معرب لم يوقف على مراده، فإذا قال: « ما أحسن زيدًا!» أو« ما أحسن زيدٌ» أو« ما أحسنُ زيد » أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراده، وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعاني...».[2]

أما **الزمخشري (ت 538هـ)** فقد أشاد بالإعراب «إن الرفع علم الفاعلية، والنصب علم المفعولية، والجر علم الإضافة...».

وقد أفاض **الرضي الإستراباذي (ت686هـ)** «إن الرفع علم كون الكلمة عمدة في الإعرابية لو لم تكن تعمل في التصوير المعنى شيئا، وأرى أن الضمة علم الاسمية ودليل أن الكلمة المرفوعة يراد أن يسند إليها ويتحدث عنها، أما الكسرة فيراد بها الإضافة، وإشارة

---

[1] - ابن جني - الخصائص تحقيق عبد الحميد هنـــداوي (دار الكتب العلمية - بيروت- لبـنان (ج1) (ط1) (2001)) ص: 88.

[2] - ابن فارس- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها - حققه مصطفى الشويمي (مؤسسة -أ- بدران للطباعة والنشر- بيروت- لبنان (دط) (1964)) ص: 42.

إلى ارتباط الكلمة بما قبلها، أما الفتحة فليست علامة إعراب دالة على شيء، بل هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب التي أن يراد أن تنتهي بها الكلمة، كلما أمكن ذلك، فهي بمثابة السكون في لغة العامة ...».

وقد اتفق جمهور النحاة والعلماء على أن الإعراب هو الذي يكشف عن معاني الألفاظ أو يميزها وفي سبيل ذلك تأولوا كل ما يخالف قاعدة الإعراب، حرصا على اطراد ما رأوه من دلالة العلامة على المعاني وبصراحة مطلقة يعبر شيخ البلاغيـــن العرب **عبد القاهر الجرجاني** عن الإعراب قائلا: «قد عُلم أن الألفاظ مغلقة على معانيها، حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها، حتى يكون الإعراب هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه ولا ينكر ذلك إلا من ينكر حسه وإلا من غالط في الحقائق نفسه... ».[1]

[1] - أحمد سليمان ياقوت- ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم (دار المعرفة الجامعية (دط) (2003)) ص:7.

الفصل الأول: ظاهــرة الإعراب اتجاه النحو خاصة واللغة عامــة

خلاصـــــــــة:

وبعد هذه الدراسة للجوانب العديدة لظاهرة الإعراب نود أن نعرض نتائج هذا الفصل الأول في النقاط الآتية:

1- إن المعنى اللغوي لكلمة الإعراب في أساسه لا يخرج عن معنيين هما:

* الإفصاح، الإبانة، الإظهار، الإيضاح والخلو من اللحن.

* الإعراب هو التغير.

* قد وردت هذه المعاني والمدلولات في كل من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام العرب.

2- إن المعنى الاصطلاحي للإعراب عند النحاة القدامى منهم والمتحدثين لا يخرج على أنه الفارق بين المعاني، أو هو تغير العلامة التي في آخر اللفظ بسب تغير العوامل الداخلة عليه.

3- الفرق بين **النحو** و**الإعراب** هو الفرق الكل والجزء، فالنحو هو الكل والإعراب هو الجزء من هذا الكل، كما أن النحو يستوعب أقسام الكلمة ويتناولها بالتفصيل أما الإعراب فيستوعب حركات أواخر الكلم فقط.

الفصل الثاني

التطور التاريخي لظاهرة الإعراب

1- الإعراب بالسليقة والفطرة

2- الإعراب بين التقعيد والجمود

3- الدعوة إلى إلغاء الإعراب

الفصل الثاني: التطور التاريخي لظاهرة الإعراب

1- الإعراب بالسليقة والفطرة

إن الإعراب سمة من سمات العربية والخوض والبحث عن تأصيله يشبه البحث في نشأة اللغات، وعلى الرغم من ذلك افتراض اللغويون الذين بحثوا في أصل العربية فروضا معينة في اكتسابها الخصائص التي تتميز بها وعلى رأسها **الإعراب**. وكما تعرضنا سابقا في الفصل الأول **أن الشعر الجاهلي** هو أقدم نص عربي معرب فصيح يقول عنه **بروكلمان** « ولغة الشعر هذه تميزت ميزة عظمى من الصور النحوية، وقد بلغت من حيث دقة التعبير من علامات الإعراب والنحو ذروة التطور في اللغات السامية».[1]

فالإعراب في الفصحى ليس خاصّة مستحدثة، نشأت بين بعض القبائل العرب، وإنّما هو خاصية سامية قديمة تشترك فيه العربية مع الأكادية والحبشية والأوجاريتية والنبطية والعبرية.[2]

وقد سبقت العربية الفصحى نقوش متفرقة هنا وهناك في الجزيرة العربية، نستطيع أن نتبيّن منها آثارا لظاهرة الإعراب ويقول **شوقي ضيف** في ذلك « حدث في سنة1929 أن اكتشف العلماء في رأس شمرا بالقرب من اللاذيقية نقوشا كثيرة ترجع إلى القرن15 ق.م في موضع كان يعرف قديما باسم **أوجريت**، وجدّوا في حل رموزها وسرعان ما وجدوها تقرب من اللغات السامية ومن العربية القديمة فسموها باسم موضعها تمييزا لها. ولاحظوا أنّ هذه اللّغة الأورجريتية يشيع فيها الإعراب مثل العربية».[3]

كما أكدّ **شوقي ضيف** على أنّ ظاهرة الإعراب ظاهرة قديمة في اللغة السامية، وأنّ العربية احتفظت بها. إذن فعلى حدّ قول **أحمد سليمان ياقوت** « نحن لا نملك مظاهر الإعراب آثاره في لغة ما قبل الشعر الجاهلي إلاّ النقوش التي عثر عليها في شبه الجزيرة العربية، وهي تمثل لهجات عربية قديمة متطوّرة تسمى بالعربية البائدة...».[4]

---

(1) - جميل علوش- الإعراب والبناء دراسة في نظرية النحو العربي (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت- لبنان- (ط1) (1997)) ص: 37.

(2) - مرجع نفسه ص: 38.

(3) - شوقي ضيف- تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) (دار المعارف- القاهرة- مصر (ج1) (ط6) (1984)) ص: 160.

(4) - أحمد سليمان ياقوت- ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم (دار المعرفة الجامعية (دط) (2003)) ص: 4.

ومن أشهر هذه النقوش **نقش النمّارة** الذي اكتشفه **دوسو**، و**ماكار** سنة **1901** على بعد ميل من النمارة القائمة على أطلال معبد روماني شرقي جبل الدروز، بالقرب من الأماكن التي عثر عليها على الكتابات الصفوية، وقد كتب شاهدا لقبر ملك من الملوك اللخميين يسمى امرئ القيس بن عمرو، وأرخ بشهر كسلول من السنة **223** بتقويم بصري وهو يوافق شهر كانون الأول (ديسمبر) وهذه الأبيات التي تدل على الشاهد:

1- تي نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التج.

2- وملك الأسدين ونزرو وملوكهم وهرب مذحج عكدي وجا.

3- بزجي في حبج نجرن مدينة شمرو ملك معدو وبين بنيه.

4- الشعوب ووكلـــهن فـــرسو لـــروم فلم يبلغ مـــلك مبلغه.

5- عكدي هلك سنت 223 يوم 7 بكسلول بلسعد ذو ولـــده.[1]

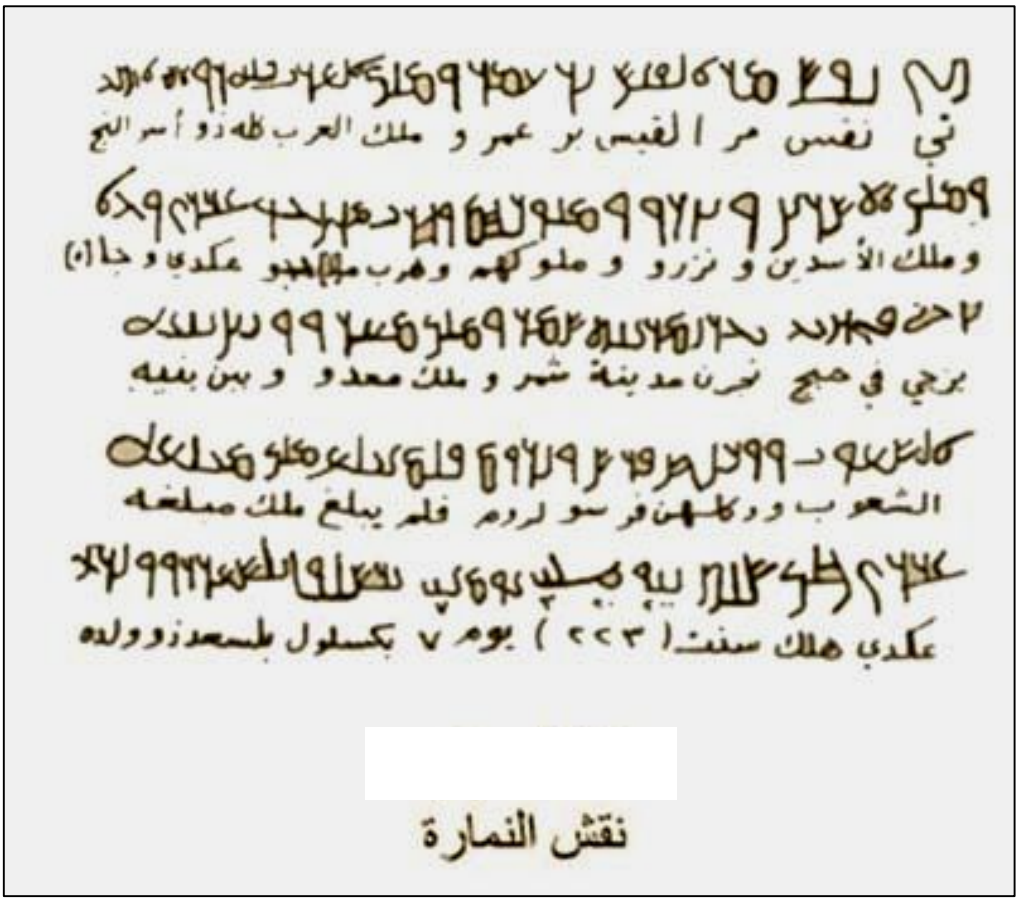

(2) نقش النمارة

---

[1] - أحمد سليمان ياقوت- ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم- المرجع نفسه ص: 7.

[2] - الموقع الإلكتروني: الأستاذ يحي غوردو - http://www.wata.cc/forums/showthread.php?21439.

واعتمدت في توضيح معناه على شوقي ضيف في كتابه تاريخ الأدب (العصر الجاهلي) كما يلي:[1]

1- هذه نفس(جسد) امرئ قيس بن عمرو، وملك العرب كلهم، الذي عقد التاج.

2- وملك الأسدين (قبيلتي أسد) ونزارا وملوكهم وشتت مذحجا بالقوة وجاء.

3- باندفاع في مشارف نجران مدينة شمر وملك معدا وولى بنيه.

4- الشعوب، وكله الفرس والروم، فلم يبلغ مبلغه.

5- في القوة، هلك سنة223يوم 7 من كسلول ليسعدا الذي ولده.

نلاحظ أن السطر الأول خال من الإعراب وهذا ما يؤكده **أحمد سليمان ياقوت**، أما السطر الثاني فنلاحظ فيه إعرابا في (مللك الأسدين) هذه الكلمة مفعول به، فإن النقش قد أبقى ولم يقل الأسدان وبالرغم من أن (نزارم) معطوف على المفعول به، فإن النقش قد أبقى الواو بها علامة على أنّها من الأعلام المعربة، وفي السطر الثالث (ملك معدم) دون تنوين النصب أيضا، وألحق الواو دليلا على أنها من الأعلام المعربة.

إذن فنقش النمارة يؤكد افتراض اللغويون على أنّ الإعراب ظاهرة، لها جذور عميقة موّغلة في بطن التاريخ، فهو يعطينا صورة واضحة عن آثار الإعراب التي كانت موجودة قبل أنّ نعرف العربية الفصحى.[2]

وأخلص ممّا سبق إلى أن الإعراب ملكة لسانية، تمكنت ورسخت فظهرت في بادئ الأمر على أنها جبلة وطبع، تحصل بممارسة كلام العرب الذي يكون على السمع والتفطن لخواص التركيب.

والشعر الجاهلي كما سبق وأن قلنا أنه يمثل الصورة الكاملة لإعراب التي بقيت راسخة إلى يومنا هذا.

فالإعراب في العصر الجاهلي صار كالقوانين الثابتة التي لا يمكننا تغيرها إلا بتغير الطبائع والجنوح إلى مالا يقبله العقل، ويضمن الصرامة، المطلقة لبحور الشعر وقوافيه

---

[1] - أحمد سليمان ياقوت- ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم- المرجع نفسه ص: 7.

[2] - مرجع نفسه ص: 11-12.

صلاحية القوانين اللغوية في مجموعها لهذه الأشعار ذلك أنّ أشعار العرب من قبل العهد الإسلامي وبعده ظهرت علامات الإعراب مطرّدة كاملة السلطان.[1]

وقد حفظ الإسلام هذه الخاصية العربية في كتابه المخلّد ألا وهو القرآن الكريم، إذ أنه جاء معربا ودليل ذلك مقولة **يوهان فك**« أمّا أنّ أقدم أثر من آثار النثر العربي وهو القرآن الكريم قد حافظ أيضا على غاية التصرف الإعرابي، فهنا أمر وإن لم يكن من الوضوح والجلاء بدرجة الشعر الذي لا تترك أساليب العروض والقافية مجالا للشك في إعراب كلماته، إلاّ أنّ مواقع كلام القرآن الاختيارية لا تترك أثرا للشك فيه كذلك، أنظر مثلا الأية28 من **سورة فاطر**﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ وآية3 من سورة التوبة ﴿**أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ**﴾ وآية 124 من سورة البقرة ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ**﴾ وآية8 من سورة النساء﴿**وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى**﴾ فمثل مواقع الكلمات في هذه الآيات...لا يمكن أن يكون إلاّ في لغة لا يزال الإعراب فيها حيا صحيحا يضاف إلى ذلك شهادة القرآن نفسه...».[2] وقد بينت ذلك سابقا يقول الله عز وجلّ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِى مُبِينٍ**﴾[*] ويحثنا الرسول- صلى الله عليه وسلم- على إعراب القرآن لنلمس البيان فيه حيث يقول:" «**جوّدوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات وأعربوه فإنه عربي، والله يحب أن يعربه**» رواه ابن ماجة.[*]

وقد ظلت اللغة العربية محتفظة بخاصية الإعراب حث أواخر القرن الثالث الهجري على مستوى التخاطب العادي أو اللغة التلقائية كونه ملكة لسانية متأصلة في العرب على حدّ قول **أبو الأسود الدؤلي:**

---

(1) - محمد حماسة عبد اللطيف - العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث (دار غريب للطابعة والنشر والتوزيع- القاهرة- (دط) 2001)) ص: 131.

(2) - شوقي ضيف- تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) (دار المعارف- القاهرة- مصر (ج1) (ط6) (1984)) ص: 105.

(*) - سورة الشعراء الآية (193-194).

(*)- مختصر صحيح الإمام مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (دار الفكر- بيروت- لبنان- (ط1) (2002) (1422ه)) ص: 566.

وَلَسْتُ بِنَحْوِيٍّ يَلُوكُ لِسَانَهُ وَلَكِنْ سَلِيقِيٌّ أَقُولُ فَأُعْرِبُ

ففي هذه المرحلة نجد العرب يعربون كلامهم بالفطرة والإعراب هنا لا يخرج عن مفهوم البيان والوضوح فالمراد من التفريق بين المعاني فقط.[1]

2- الإعراب بين التقعيد والجمود

من باب استدعاء الأمور بعضنا وباب تحصيل الحاصل، نستطيع الحكم على اللغة بأنها كانت في مرحلة مهمة عند نزول الوحي لمحاكاة القرآن لها في نضجها، وبملاحظة أنّ القرآن، نزل بما عندهم ليكون لهم، وليتحداهم بفصاحته، ولذلك نستطيع بواسطة هذا الأثر المتقدم والوحيد، الحكم على اللغة بأنها كانت في مرحلة مهمة قطعت أشواطا من النضج اتجاه الأحسن، والأكمل الذي أصبح نموذجيا مع القرآن، ولذا علينا أن ننتبه إلى الفرق بين انطلاقة العلم النحوي من الصفر علما ذاتيا مستقلا بنفسه وبموضوعه.

وانطلاقته من نقطة تعليق السابق الذي وصل إليه بنظم سمعية ولفظية، وبصرية تحفظه وتمنع عنه الفساد اللاحق به، فما عمل النحويون بعد ذلك أو في هذه المرحلة التي سنأتي على ذكرها إلا استنطاق للسليقة العربية اللغوية، وإعمال نظرية، واستقراء الواقع الذي غدته مئات ألآلاف من المخيلات والعقول والسلائق والألسنة حتى غدا نموذجا ساحرا بتعابيره اللفظية الرائعة.

و**علم الإعراب** واحد من علوم اللغة العربية الكثيرة التي لم تكن متميزة إبان نشوءها ولما أصابت العربية حظا من التطور أضحى الإعراب أقوى عناصرها، وأبرز خصائصها، وأمست قوانينه وضوابطه هي العاصمة من الزلل، المعوضة عن السليقة.[2]

ومن الأسباب التي أدت تنظيره كعلم مستقل بذاته: انتشار اللحن في المجتمع الإسلامي العربي وهو صاحب الأثر المهم إلى جانب الخوف على القرآن من الخطأ

---

[1] - طلال علامة- نشأة النحو العربي بين مدرستي البصرة والكوفة (دار الفكر البنائي - بيروت- لبنان (ط1) (1992)) ص: 149.

[2] - توفيق بن عمر- كيف تتعلم الإعراب بطريقة ملونة ومبتكرة (دار الفكر المعاصرة - بيروت- لبنان (ط2) (2002)) ص: 42.

وانتشار اللّحن يعود أصلا إلى أربعة أسباب تتمثل في التوسع العسكري الذي كان من آثار الفتوحات العسكرية، ولقد حفلت هذه الأقطار باختلافات بشرية عرقية، ولغوية كبيرة.[1]

تركت آثارها الواضحة على المجال اللغوي في اللغة العربية ووسيلة التخاطب والتعامل معها كونها لغة السياسة والدّين، والسبب الثاني لانتشار اللحن هو التوسع السكاني الناتج عن انتشار الدين الإسلامي، والسبب الثالث هو التوسع الاقتصادي، ذلك أنّ المدينة ومكة أصبحتا قلب الدولة النابض، فهما مركزين مهمين للتبادل التجاري، ممّا أدخل عددا كبيرا من غير العرب إلى داخل الجزيرة العربية، حبا باعتناق الإسلام وبالتالي ازدياد رقعة اللحن، أما السبب الرابع والأخير فهو سبب اجتماعي يتمثل في العمل على الوصول إلى التكافؤ الاجتماعي المنشود، ويتم ذلك باللغة العربية.

ومع العودة إلى كتب الطبقات، والتراجم، ومعاجم اللغة نستعرض الأخبار المروية عن اللحن الذي نجده على ثلاث مستويات هي: القراءة القرآنية، الخطاب، اللغة المحكية.[2]

ومن اللحن في قراءة القرآن الرواية التي ساقها صاحب نزهة الألباء على لسان **الخليفة عمر بن الخطاب** ومفادها أنّ أعرابيا قدم إلى المدينة في خلافة عمر– فقال:" **من يقرئني شيئا ممّا أنزل على الرسول محمدّ**– صلى الله عليه وسلّم– فأقرأه رجل فقال: ﴿**وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ**﴾[*] **بكسر اللاّم لرسوله الثانية فقال الأعرابي: إن يكن الله بريئا من رسوله، فأنا بريء، أو أبرأ منه، فبلغ عمر مقاله ذلك الأعرابي، فدعاه فقال: يا أمير المؤمنين إنني قدمت المدينة وقص القصة عليه، فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابي: فقرأها له بوجهها الصحيح**".[3]

---

(1) - طلال علامة- نشأة النحو العربي بين مدرستي البصرة والكوفة - المرجع السابق ص: 110.

(2) - محمد خير الحلواني - المفصل في تاريخ نشأة النحو العربي (مؤسسة الرسالة - بيروت -لبنان (ج1) (ط1) (1979)) ص: 22.

(*) - سورة التوبة الآية (3).

(3) - مرجع نفسه ص: 23.

ويبدو أن اللحن في هذه المرحلة كان ذائعا منتشرا، يدل على ذلك ما نقل عن أبي بكر –رضي الله عنه– أنه قال:" لأن اقرأ فاسقط أحب إليّ من أقرأ فألحن"[1] فهل يعقل أن يقول أبو بكر مثل هذا إذا لم يسمع لحنا كثيرا من قراءة القرآن؟ أمّا ظهور اللّحن في المستوى الثاني فأخباره غير كثيرة، من تلك الروايات ما ورد عن **خالد بن صفوان** الشاعر المعروف "القنّاص" وكان يحسن الكلام، ويلحن في الإعراب حتى قال له **بلال بن أبي بردة:**" تحدثني حديث الخلفاء وتلحن لحن السقاءات" ونذكر في ذلك لحنا **للوليد بن عبد الملك** خطب يوما فقال:" إن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول إن الحجاج جلدة يا بين عيني، ألا وإنه جلدة وجهي كله".

وعن وقوع اللّحن في اللغة المحكية، فالأخبار كثيرة جدا عنه، واللّغة المحكية كانت معربة، ولا سيما في عصر النبي والراشدين وقد كانت تتساهل في بعض الظواهر الإعرابية، فقد قال **الفراء** (207هـ) **لهارون الرشيد** يعتذر عن لحن وقع منه في حضرته: إنّ طباع أهل البدو الإعراب، وطباع أهل الحضر اللّحن، على أنّ اللّحن في اللّغة المحكية بدأ قليلا، ثم ما لبث أن توسعت دائرته وفيما روي لنا من أخبار اللّحن ما يقطع بذلك، ومعظمه منقول عن **الجاحظ** وهو من القدماء الذين أدركوا عصر الخليل وسيبويه.[2]

فممّا روي من لحن **الوليد بن عبد الملك** أنه قال لغلامه:" يا غلام ردّ الفرسان الصادان عن الميدان" على حين ظلت لغة البُدَاة سليمة من اللّحن، لهذا كانت هدف النحاة في السعي وراء الاستنباط.[3]

ويلخص العلماء المحدثين أسباب وضع الإعراب في ما يلي:

الأول اللّغوي ذلك لأن استعمال العربية مطردا على نسق واحد عند العرب كلهم، بل كانت هناك مستويات هي اللغة المثالية والتي كانت تستعمل في الشعر والخطاب والمواعظ وتتقيد بالإعراب وضوابطه وهي اللّغة التي نزل بها القرآن الكريم وتخلو من

---

(1) - السيوطي - المزهر في علوم اللغة (دار الجيل - بيروت - لبنان (ج2) (دط) (دس)) ص: 197.
(2) - الجاحظ - البيان والتبيين - تحقيق عبد السلام محمد هارون (دار الجيل- بيروت- لبنان (ج1) (دط) (دس)) ص: 332.
(3) - محمد خير الحلواني - المفصل في تاريخ نشأة النحو العربي - المرجع السابق ص: 24.

الظواهر اللهجية كالكشكية، واللغة البدوية وهي التي كانت تستعمل في البوادي وهي تعني بضوابط الإعراب وتستعمل فيها اللهجات المحلية.

واللغة الحضرية، وهي التي تستعمل في المدن وهي منشأ اللّحن لأن أهلها يتفاوتون في القرب من اللغة المثالية، لاختلاط الأجناس الغربية بهم، وهذه المستويات المتفاوتة في مجتمع القبائل العربية ألحت على المهتمين بالعربية أن يضعوا ضوابط لها في مستواها الأعلى ليرجع إليه كل ناطق بالعربية.

والثاني لوضع الإعراب عند المحدثين هو اجتماعي يمثله اختلاط العرب بالغرب في ظل إطار الدولة الإسلامية مما أدى إلى اتساع الهوة بين اللغات المثالية واللّغات المحكية.

واضطربت ألسنة الإعراب في إقامة الإعراب، ومثل هذه الهوة تخيف المجتمع حين تكون أسسه قائمة على العقيدة الدينية التي لا تفهم ولا تصان إلاّ باللغة المقدسة، التي هددت أصالتها، ومثل هذا الحافز خليق بأن يدفع هؤلاء إلى وضع الأسس لتعلم العربية الانشغال بعلومها.

والثالث ديني لأن ارتباط العربية بالإسلام عموما وبالقرآن خصوصا هو الذي حصنها ضد الزوال، هذا الكتاب العربي المقدس جعل تعلّم تلاوته بالعربية فرضا على كل مسلم مما دعى الأجانب المسلمين إلى طلب علم العربية من معلميها الأمر الذي شجع على أن يكرس بعض الناس حياتهم للتقعيد والتنظير والتأسيس لعلم يحمي القرآن الكريم من اللّحن تركيبا ليؤدي وظيفته الدلالية والبلاغية على أحسن وجه.[1]

وبتظافر كل هذه الأسباب نشأ ما يعرف اليوم **بعلم النحو** و**علم الإعراب** وهما يعدّان أخوين توأمين في تاريخ اللّغة العربية. وجلّ كتب تاريخ اللغة العربية تجمع على أنّ **أبا الأسود الدؤلي** هو أول من وضع بعض قواعد العربية، أي هو أوّل من اتجّه نحو التنظير والتقعيد، ويقول في ذلك **جرجي زيدان:**" **أبو الأسود** واضعه، **وابن أبي إسحاق الحضرمي** أول من علّله، **وعيسى بن عمر الثقفي** أوّل من ألّف فيه، **وهارون بن موسى** أوّل

[1] - جرجي زيدان - تاريخ آداب اللغة العربية (دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان (ج1) (دط) (1983)) ص: 419.

من ضبطه، وسيبويه أوّل من أجاد في تأليفه"[1]. لذلك ارتأينا أن نتطرق باختصار إلى إبراز دور أهم الأعلام في علم النحو وفي علم الإعراب، والأولوية **لأبي الأسود الدؤلي** واسمه الكامل أبو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلبس بن نفاثة بن عدي بن الدبل بن بكر بن كنانة (ت 69هـ). وقد كان علوي الرأي وكان رجل أهل البصرة وهو أول من أسس العربية، ونهج سبلها ووضع قياسها، وذلك حين اضطرب كلام العرب، فوضع باب الفاعل، والمفعول به، والمضاف وحروف النصب والرفع والجر والجزم، وهو أول من نقط المصاحف.

ونقط الإعراب وذلك أنه انتهى إلى ما بين الكلمات من فوارق لأن ملاحظة الإعراب وفهمه يرتبطان. ببنية التركيب اللغوي ارتباطا محكما، وقد كان يعلم النحو فاستخرج ضوابط الإعراب واهتدى إلى قواعد بسيطة من شأنها أن تحدد مواقع النصب والرفع والجر والجزم.

هذا بالنسبة إلى واضعه.

أما عن أول من علله فهو **إسحاق الحضري** واسمه الكامل عبد الله بن أبي إسحاق مولى آل الحضرمي(ت117هـ) وهو أول بعج النحو، ومد القياس، وشرح العلل، وكان مائلا إلى القياس في النحو، يفرق بين ضربين من الدرس اللغوي درس يقوم على الاستعانة بالذاكرة والاستظهار، وآخر يقوم على ضوابط القواعد المطردة، وتتجلى أهميته العلمية في النقاط الآتية:

1- أنه توسع قي استنباط الأقيّسة التي لم تكن مستنبطة في المرحلة السابقة.

2- وأنه أدنى النحو من الفقه، فاستخدم الرأي قي تفسير الظواهر النحوية وأول ما يظهر فيه القياس.

3- دعا إلى استقلال النحو عن سائر علـوم اللغة، ويظهر هذا جليا قي قـوله **ليونس:**"عليك ببابه من النحو يطرد وينقاس".[2]

---

[1] - جرجي زيدان - تاريخ آداب اللغة العربية - مرجع نفسه ص: 420.

[2] - الزبيدي - طبقات النحويين واللغويين - محمد أبو الفضل إبراهيم (دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع (ط1) (1954)) ص: 26.

وعن أول من ألف فيه **عيسى بن عمرو الثقفي**، وأخذ عن ابن أبي إسحاق، وكان يطعن على العرب، وهو صاحب تقعير في كلامه، واستعمال الغريب فيه، وفي قراءاته وقد كان لا يدع الإعراب لشيء قال **الأصمعي**:" خاصم عيسى بن عمر النحوي الثقفي رجلا إلي بلال بن أبي بردة، فجعل عيسى يشبع الأعراب وجعل الرجل ينظر إليه، فقال له بلال: لأن يذهب بعض حق هذا أحب إليه من ترك الإعراب فلا تتشاغل به وأقصد بحجتك".[1]

وهو أول من بلغ غايته في كتاب النحو في كتابة النحو، وقد وضع النحو قي كتابين سمي أحدهما "الجامع" والآخر "المكمل" فقد قال الخليل بن أحمد:

بطل النحو جميعا كله غيره ما أحدث عيسى بن عمر

ذلك إكمال وهذا جامح فهما للنـــاس شـــمس وقمر[2]

ومما عرف به عيسى بن عمر الثقفي"الفصاحة" والتزم الإعراب في حديثه اليومي وكان ابن أبا عبيدة معمر بن المثنى يحتج بكلامه في اللغة وشرح ألفاظ القرآن، وله محاولات في تفسير الظواهر الإعرابية وربطها بما يستقر في نفس المتكلم من قصد وإرادة، وقد بنى الأسس التي وضعها الحضرمي في تاريخ النحو وزاد عليها فتوسعت بفضله الدائرة النحوية.[3]

أما ضبط قواعده –الإعراب– فأول من أقدم عليه **هارون بن موسى** وهو يهودي من أهل البصرة أسلم واشغل بالأدب وضبط النحو لكنه لم يؤلف فيه.

وأخيرا نصل إلى أول من أجاد في تأليفه –الإعراب– هو سيبويه واسمه الكامل عمرو بن عثمان بن قنبر مولد بن الحارث بن كعب بن عمرو بن غلة بن جلد بن مالك بن أدد أخذ عن الخليل، ولد بقرية بن قرى شيراز يقال لها البيضاء، قدم البصرة ليكتب الحديث، فلزم حلقة حماد بن سلمة، فبينما هو يستملي على حماد قول النبي– صلي الله عليه وسلم– "ليس من أصحاب إلا من لو شئت لأخذ عليه ليس أبا الدرداء فقال سيبويه

---

(1) - الجاحظ - البيان والتبيين - تحقيق عبد السلام محمد هارون (دار الجيل- بيروت- لبنان (ج1) (ط) (دس)) ص: 15.
(2) - الزبيدي - طبقات النحويين واللغويين - محمد أبو الفضل إبراهيم - المرجع السابق ص: 15.
(3) - محمد خير الحلواني - المفصل في تاريخ نشأة النحو العربي (مؤسسة الرسالة - بيروت -لبنان (ج1) (ط1) (1979)) ص: 22.

"ليس أبو الدرداء" وظنه اسم ليس، فقال حماد: لحنت يا سيبويه ليس هذا حيث ذهبت وإنما ليس هاهنا استثناء" فقال سأطلب علما لا تلحنني فيه أبد فلزم الخليل فبرع "وقد سمع له كلام في النحو ومناظرات لكن كانت له حبسة في لسانه" ولكن إذا نظرت إلى كتابة "**الكتاب**" علمت بأنه أبلغ من لسانه.[1]

وقد قال **الأخفش سعيد بن مسعده:** "كان سيبويه إذا وضع شيئا من كتاب عرضه عليّ، يرى أني أعلم منه، وكان أعلم مني...".

وعن كتاب يقول العلماء المحدثون إنما هو ثمرة من ثمار الخليل وأن ملكة صاحبه النحوية إنما كانت جراء اتصاله بالخليل ويقول **أبو عثمان المازني:**"من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي".

وبعد هذا الكتاب جامع لكل ما يحتاج إليه طالب الإعراب فهو قد تطرق –سيبويه– إلى مجاري أواخر الكلم، ويسميه بحرف الإعراب، وحروف الإعراب عنده أربعة "فارفع والجر لحروف الإعراب والنصب والجزم أيضا" وقد ميز بين الإعراب والبناء فيقول:"وحروف الإعراب للأسماء المتمكنة والأفعال المضارعة" وقد ذكر في هذا الباب العديد من قواعد الإعراب أو بالأحرى جل قواعده كالعلامات الأصلية والفرعية لإعراب العامل، الإعراب الظاهر، والمقدر...الخ، ونجده في الأبواب الأخرى يتطرق إلى جوانب الإعراب، من حال، وجر، ومبتدأ وخبر... وإلى غير ذلك. مدعما له بأدلة وشواهد مما يحتج به من أشعار جاهلية وما سواه وقد نسب فيه إلى كل من أساتذته أقواله.

وبهذا نكون قد أتينا على أشهر أعلام النحو والإعراب خاصة، ونخلص بهذا إلى أن الإعراب في هذه المرحلة تجسد في قواعد وأسس لتحفظه من اللحن والزوال ويطلق عليه الآن اسم **الإعراب التطبيقي** والإعراب اصطلح علماء هذه المرحلة على تعريفه بـــ "تغير آخر الكلمة لسبب تغير العوامل الداخلة عليها".[2]

---

[1] - سيبويه عمر بن عثمان بن قنبر- الكتاب حققه عبد السلام هارون (دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان (ط1) (1999)) ص: 13.

[2] - مرجع نفسه ص: 13-14.

ولنتبين معنى الإعراب أكثر نأخذ المثال التالي: "وهو كلمة (زيد) في الجمل التالية:

جاء زيدُ – رأيت زيدًا – مررت بزيدٍ.

إن التصرف في حركة الحرف الأخير لكلمة (زيد) من الضمة إلى الفتحة ومنها الكسرة بسبب تغير العوامل الداخلة عليها هي (جاء – رأيت– الباء) هو الإعراب والحاجة إليه تتمثل بوضوح في معرفة موقع الكلمة في الجملة الذي يحدد لها وظيفتها ويعطيها معناها المقصود للمتكلم عن الفاعلية والمفعولية والابتداء والإخبار وما إليها.

إذن **فالإعراب** يتمحور موضوعه حول معرفة أحكام وخصائص الكلمات العربية حال تركيبها مع بعضها، وهذه الأحكام والخصائص هي: تحديد نوع الكلمة ومعناها الإعرابي ورتبة لفظها وعملها، وحالتها ومحلها وعاملها وعلاماتها، والتعليل والملاحظات.

ويتمحور أيضا حول معرفة التغييرات التي تطرأ على الكلمات بتأثير العوامل، حيث إن كلّ تغيير فيها يعطيها معنا إعرابياً جديدا، وللإعراب أركان أربعة هي:

1- **عامل:** وهو الذي يجلب العلامة.

2- **معمول:** وهي الكلمة التي تقع في آخرها العلامة.

3- **موقع:** وهو الذي يحدّد معنى الكلمة أي وظيفتها مثل الفاعلية والمفعولية والظرفية وغيرها.

4- **علامة:** وهي التي ترمز إلى كلّ موقع على ما تعرفه في أبواب النحو.[1]

وسنرى ذلك في المثال الآتي: ذهب محمّدُ إلى المدينة صباحًا، ترى أن كلمة (محمّدُ) مرفوع بالضمة، وهي علامة إعرابها التي تدّل على موقعها أو وظيفتها وهي كونها **فاعلا**، فكلمة محمّد هي المعرب، والفعل ذهب هو **العامل**، والضمّة هي **علامة الإعراب** كذلك كلمة المدينة اسم مجرور بالكسرة– فهو **معرب**، و**العامل** هو الحرف (إلى) والكسرة **علامة الإعراب**، وكلمة صباحًا ظرف منصوب بالفتحة، فهي **اسم معرب** و**العامل** فيه هو الفعل ذهبَ، والفتحة **علامة الإعراب**، وكل اسم من هذه الأسماء المعربة معمول للعامل الذي عمل فيه الإعراب–

[1] - عبد الهادي فضلي - مختصر النحو (دار الشروق - جدة- السعودية (دط) (1984)) ص: 22.

وللإعراب أربعة أنواع: رفع، ونصب أي " اسم وفعل"، نحو " زيدٌ يقوم" و"إنّ زيداً لن يقوم" وجر في اسم نحو " زيدٍ"، وجزم في فعل نحو " لم يقمْ" فيرفع بضمّة، وينصب بفتحة، ويجرّ بكسرة، ويجزم بحذف حركة.[1]

وكما رأينا سابقا أن علاماته تنقسم إلى أصلية وفرعية، كذلك ينقسم الإعراب إلى ثلاثة أقسام وهي: الإعراب الظاهر والإعراب المقدّر، والمحليّ- وقد تطرقت إلى هذه الأخيرة- وفي الأخير أقول أن هذه المرحلة هي مرحلة ضبط وحفظ لقواعد الإعراب من الزلل، ولهذه القواعد ألفت مكتبات كاملة من الكتب تحتوي على جميع الجوانب المدروسة الخاصّة بهذه الظاهرة الساميّة، وقد ارتأيت أن أختم هذا العنصر بعرض أبيات للعلاّمة **محمّد بن عبد الله بن مالك الأندلسي** يقرّ فيها بقواعد الإعراب وهي مقتطفة من متن ألفية **ابن مالك** في النحو والصرف:

[1] - عبده الراجحي- التطبيق النحوي (دار المعرفة الجامعية (ط2) (1999)) ص: 18-19.

وَالاسْمُ مِنْهُ مُعْرَبٌ وَمَبْنِي ... لِشَبَهٍ مِنَ الْحُرُوفِ مُدْنِي

كالشَّبَهِ الْوَضْعِيِّ فِي اسْمَيْ جِئْتَنَا ... والمَعْنَوِيِّ فِي مَتَى وَفِي هُنَا

وَكَنِيابَةٍ عَنِ الفِعْلِ بِلا ... تَأَثُّرٍ وَكَافْتِقَارٍ أُصِّلا

وَمُعْرَبُ الأَسْمَاءِ مَا قَدْ سَلِمَا ... مِنْ شَبَهِ الْحَرْفِ كَأَرْضٍ وَسَمَا

وَفِعْلُ أَمْرٍ وَمُضِيٍّ بُنِيَا ... وَأَعْرَبُوا مُضَارِعاً إِنْ عَرِيَا

مِنْ نُونِ تَوْكِيدٍ مُبَاشِرٍ وَمِنْ ... نُونِ إِنَاثٍ كَيَرُعْنَ مَنْ فُتِنْ

وَكُلُّ حَرْفٍ مُسْتَحِقٌّ لِلْبِنَا ... وَالأَصْلُ فِي الْمَبْنِيِّ أَنْ يُسَكَّنَا

وَمِنْهُ ذُو فَتْحٍ وذُو كَسْرٍ وَضَمْ ... كَأَيْنَ أَمْسِ حَيْثُ وَالسَّاكِنُ كَمْ

وَالرَّفْعَ وَالنَّصْبَ اجْعَلَنْ إِعْرَاباً ... لِاسْمٍ وَفِعْلٍ نَحْوُ لَنْ أَهَابَا

والاسْمُ قَدْ خُصِّصَ بِالْجَرِّ كَمَا ... قَدْ خُصِّصَ الْفِعْلُ بِأَنْ يَنْجَزِمَا

فَارْفَعْ بِضَمٍّ وانْصِبَنْ فَتْحاً وَجُرّ ... كَسْراً كَذِكْرُ اللهِ عَبْدَهُ يَسُرّ

واجْزِمْ بِتَسْكِينٍ وَغَيْرُ مَا ذُكِرْ ... يَنُوبُ نَحْوُ جَا أَخُو بَنِي نَمِرْ

وَارْفَعْ بِوَاوٍ وانْصِبَنَّ بِالأَلِفْ ... واجْرُرْ بِيَاءٍ مَا مِنَ الأَسْمَا أَصِفْ

منْ ذَاكَ ذُو إِنْ صُحْبَةً أَبَانَا ... وَالْفَمُ حَيْثُ الْمِيمُ مِنْهُ بَانَا

أَبٌ أَخٌ حَمٌ كَذَاكَ وَهَنُ ... والنَّقْصُ فِي هذا الأَخِيرِ أَحْسَنُ

وَفِي أَبٍ وَتَالِيَيْهِ يَنْدُرُ ... وَقَصْرُهَا مِنْ نَقْصِهِنَّ أَشْهَرُ

وَشَرْطُ ذَا الإِعْرَابِ أَنْ يُضَفْنَ لا ... لِيَا كَجَا أَخُو أَبِيكَ ذَا اعْتِلا

بِالأَلِفِ ارْفَعِ الْمُثَنَّى وَكِلا ... إِذَا بِمُضْمَرٍ مُضَافاً وُصِلا

كِلْتَا كَذَاكَ اثْنَانِ وَاثْنَتَانِ ... كَابْنَيْنِ وَابْنَتَيْنِ يَجْرِيَانِ

وَتَخْلُفُ الْيَا فِي جَمِيعِهَا الأَلِفْ ... جَرًّا وَنَصْباً بَعْدَ فَتْحٍ قَدْ أُلِفْ

وَارْفَعْ بِوَاوٍ وَبِيَا اجْرُرْ وانْصِبِ ... سَالِمَ جَمْعِ عَامِرٍ وَمُذْنِبِ

وَشِبْهِ ذَيْنِ وَبِهِ عِشْرُونَا ... وَبَابُهُ أُلْحِقَ وَالأَهْلُونَا

أُولُو وَعَالَمُونَ عِلِّيُّونَا ... وَأَرَضُونَ شَذَّ وَالسِّنُونَا[1]

---

[1] - العلامة بن مالك الأندلسي - متن ألفية ابن مالك في النحو والصرف (مؤسسة الرسالة (ط1) (2002)) ص: 7-11.

وَبَابُهُ وَمِثْلَ حِينٍ قَدْ يَرِدْ ... ذَا الْبَابُ وَهْوَ عِنْدَ قَوْمٍ يَطَّرِدْ

وَنُونَ مَجْمُوعٍ وَمَا بِهِ الْتَحَقْ ... فَافْتَحْ وَقُلَّ مَنْ بِكَسْرِهِ نَطَقْ

وَنُونُ مَاثُنِّيَ وَالْمُلْحَقِ بِهْ ... بِعَكْسِ ذَاكَ اسْتَعْمَلُوهُ فَانْتَبِهْ

وَمَا بِتَا وَأَلِفٍ قَدْ جُمِعَا ... يُكْسَرُ فِي الْجَرِّ وَفِي النَّصْبِ مَعَا

كَذَا أُولاَتُ وَالَّذِي اسْماً قَدْ جُعِلْ ... كَأَدْرِعَاتٍ فِيهِ ذَا أَيْضاً قُبِلْ

وَجُرَّ بِالْفَتْحَةِ مَالا يَنْصَرِفْ ... مَالَمْ يُضَفْ أَوْيَكُ بَعْدَ أَلْ رَدِفْ

وَاجْعَلْ لِنَحْوِ يَقْعَلاَنِ النُّونَا ... رَفْعاً وَتَدْعِينَ وَتَسْأَلُونَا

وَحَذْفُهَا لِلْجَزْمِ وَالنَّصْبِ سِمَهْ ... كَلَمْ تَكُونِي لِتَرُومِي مَظْلَمَهْ

وَسَمِّ مُعْتَلاً مِنَ الأَسْمَاءِ مَا ... كَالْمُصْطَفَى وَالْمُرْتَقِي مَكَارِمَا

فَالأَوَّلُ الإِعْرَابُ فِيهِ قُدِّرَا ... جَمِيعُهُ وَهْوَ الَّذِي قَدْ قُصِرَا

وَالثَّانِ مَنْقُوصٌ وَنَصْبُهُ ظَهَرْ ... وَرَفْعُهُ يُنْوَى كَذَا أَيْضاً يُجَرّ

وَأَيُّ فِعْلٍ آخِرٌ مِنْهُ أَلِفْ ... أَوْ وَاوٌ أَوْ يَاءٌ فَمُعْتَلاً عُرِفْ

فَالأَلِفَ انْوِ فِيهِ غَيْرَ الجَزْمِ ... وَأَبْدِ نَصْبَ مَاكَيَدْعُو يَرْمِي

وَالرَّفْعَ فِيهِمَا انْوِ وَاحْذِفْ جَازِماً ... ثَلاثَهُنَّ تَقِضْ حُكْماً لازِماً[1]

---

[1] - العلامة بن مالك الأندلسي - متن ألفية ابن مالك في النحو والصرف - مرجع نفسه ص: 11.

3- الدعوة إلى إلغاء الإعراب

بعد أن تبلورت ماهية الإعراب ودوره الأساس في تميز اللّغة العربية عن غيرها من اللّغات، ومع النهضة الحديثة للغرب وتأثيراتها على العرب ظهرت آفة كبرى، على حدّ تعبير **سالم علوي**، تدعو إلى هدم أحد المقومات الأساسية للسان العربي- الإعراب- والمؤسف في ذلك إدعائهم بعرقلته الإنتاج الأدبي، وصعوبة تطبيقه على اللهجة المحكية وعدم مسايرته للتقدم التكنولوجي إذ " **الإعراب لا يتلاءم والحضارة ونحن نرى في الإعراب في أيّ لغة، بقية مع البداوة**" ولنجاح هذه الدعوة بدءوا بالتشكيك في أوّل وأصدق مصدر يحتج به على أصالة الإعراب في اللغة العربية ودوره في بيان معاني الكلام للفهم الصحيح للدّين الحنيف، إذ ذهب المستشرق **فولرز** إلى أنّ القرآن نزل بادئ الأمر بلهجة مكّة الخالية من ظاهرة الإعراب ثم قال العلماء بتنقيحه، ليصل إلى مستوى الفصاحة المتعارف عليها الآن ونلمس تأييداً لهذا الرأي من طرف مستشرق آخر هو **باول كاله** الذي يزعم أنّ القرآن الكريم نزل خاليا من الضبط بالشكل، ولمّا كان محتاجاً إلى القراءة والترتيل، رأى أوّل الأمر أن تطبّق عليه قوانين لغة الإعراب التي كانت نموذجاً للنطق الصحيح، وهكذا استخلص النحاة قواعد الإعراب وطبقوها على القرآن، وقد فنّد **نولدكه** هذا الرأي وحجتّه في ذلك أنّ أغلب ما توهمه **فولرز** تجرّدا من الإعراب، إنّما كان صوراً من تساهل الناس في القراءة للحن الذي سرى على العرب عند اختلاطهم بالأعاجم. والقرآن ليس له صلة بشيء من اللّحن.[1]

إضافة إلى ذلك الحديث النبوي الشريف الذي وصل إلينا معربا فبالغوا في رواية الحديث باللّفظ، وشدّوا في روايته بالمعنى، وشعور العرب بوراثتهم لغة معربة هو الذي كان يحملهم على أن "يجتنبوا اللحن فيما يكتبونه أو يقرؤونه اجتنابهم بعض الذنوب".

وانطلق هؤلاء من التشكيك في أصالة الإعراب، وما زعمهم هذا إلاّ دعوة لإسقاط الفصحى، ولما قدمت لهم الأدلّة العقلية والنقلية على إعراب القرآن أقرّوا ثبوت هذه الظاهرة في اللغة العربية ولكن حصروها في اللغة المثالية الأدبية واستبعدوها في اللّغة

---

[1] - سالم علوي - وقائع لغوية وأنظار نحوية (دار هومة للنشر والتوزيع - الجزائر (د.ط) (2000)) ص: 42.

المحكية في العصر الجاهلي والإسلامي- كأنّما هذا تدرج في التشكيك- ومن المستشرقين الذين يرون الصواب في هذا الرأي **كوهين** الذي يؤكدّ على وجود الإعراب في لغة الشعر والخطابة في العصرين الجاهلي والإسلامي ولكنه يستبعدها في لهجات الحديث بين العرب وحجتّه في ذلك أنّ تشعبّ ضوابط الإعراب، ودقته يجعل من تطبيقه صعب، وأيضا جميع اللّهجات المحكية الحديثة العربية خالية من آثار الإعراب وقوانينه.[1]

أمّا عن حجته الأولى فيرد عليها بإنكاره لتجرّد اللهجات العربية الحديثة كلّها من الإعراب وآثاره، إذ يوجد من يحتفظون بعربيتهم المعربة. حتىّ زمن **الجاحظ** لا يمكننا إنكار احتفاظ البدو بالإعراب إذ نجد **الجاحظ** يحرّض الرواة على الاختلاف إلى الأعراب لضمان رواية صحيحة بإعراب تراكيبها، ثم تدّرجوا إلى تفضيل العامية على الفصحى فاستغنوا عن قواعد اللّغة العربية وقوانينها ودعوا إلى الاستعاضة عنها بالعامية.

ولكن لا نعجب من المستشرقين الذين ذهبوا إلى هذا الرأي الفاسد، وإنمّا العجب من الباحثين العرب المعاصرين الذين يتهمون الإعراب باختلافهم قصّة الإعراب.[2]

والدكتور "**إبراهيم أنيس**" نموذج من هذا الهجوم على النحويين، فالإعراب عنده قصّة نسجت من ظواهر لغوية متأثّرة في شبه الجزيرة العربية في أواخر القرن الأول الهجري، حتى امتنع الإعراب على الكتّاب والخطباء والشعراء إلاّ النحاة، وقد خالفه "**صبحي صالح**" إذ يرى الإعراب سمة سامية في اللغة العربية وما عمل النحاة إلاّ استنباط لقواعدها وضوابطها حفاظا عليها من الفساد والزلل، نظرا لانتشار اللّحن مع دخول الأعاجم في الدين الإسلامي في ذلك العصر، إلاّ أنّ الإعراب لم يكن قصّة ولا يعقل أن يكون نسيجا محكما في عصر معيّن، ولا يقوم بحياكته كله بهذه الدّقة وهذا الشمول قوم بأعيانهم كأنّه شيء يبتدعونه من تلقاء أنفسهم، فهناك حد أدنى من ظاهرة الإعراب لا بدّ من الإقرار بوجوده كالذي عرفناه في الشعر الجاهلي، ليأتي بعد ذلك "**أنيس فريحة**" يتولى مهمة الدعوة لإلغاء الإعراب، إذ يرى الإعراب عقبة في سبيل التفكير، وسقوطه من اللهجة المحكية خطوة هامة نحو تيسير الكلام حتّى يصبح الطريق ممهداً للفكر، وتبرز

---

(1) - سالم علوي - وقائع لغوية وأنظار نحوية - مرجع نفسه ص: 43.

(2) - جميل علوش- الإعراب والبناء دراسة في نظرية النحو العربي (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت- لبنان- (ط1) (1997)) ص: 52-54.

هذه الفكرة في كتابه "**نظريات في اللغة**" و"**نحو عربية ميسّرة**" فلا شيء يقلقه إلاّ حركات الإعراب، فقصّر النحو على أواخر الكلم من جهة الإعراب والبناء خطأ فادحٌ من وجهة نظره، فهذه الظواهر لا تؤثر في المعنى.[1]

فالإعراب ليس قيمة عنده فهو زخرف كلامي وجزء من موسيقى اللّغة، ويخصّ المجتمع الأدبي والقصد منه التأثير والتهويل، ومنها أنه حصل بنشوء الشعر والنثر الفني الذي يحتاج إلى تقديم وتأخير وأصول الغناء لأنّ الكلام مجرى صوتي مستمر والحفاظ على هذه السمات رجعية.[2]

ويرد عليه كل من "**جميل علوش**" و"**سليمان ياقوت**" و"**سالم علوي**"، بأنّ هذه الصفات التي تنسب إلى الإعراب كلّها وجيهة وذو قيمة، غير أنّ الإعراب لا يقصد به إفهام المعنى فقط لأنّه حتّى الأخرس يستطيع التعبير عن مراده، وهذه القيم التي تكفل الإعراب بتحقيقها ليس مما يحط من قيمة الإعراب، وليست هذه القضية ولا هذا هو الدافع الحقيقي وراء الدعوة إلى إلغاء الإعراب بل هي على حدّ قول "**جميل علوش**": "حملة يثمنها الغربيون والمتشيعون بثقافتهم والمتأثرون بمواقفهم السياسية، على كلّ ما لا يجدونه في لغتهم، ممّا يجدونه في لغتنا وثقافتنا" ويعقب **سالم علوي** على ذلك بقوله:" إنّ هذا المشروع... يسعى إلى فهم الأجيال من تراثها المزبور بالحرف العربي المتواضع عليه منذ أمد مديد لا نعلم بدايته، لكنّه تجلىّ في الموروث الحضاري الضخم الذي أنتجه السلف الصالح من الأمّة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها واستفادت منه الإنسانية جمعاء، فكان تراثا عالميا لهذا ودّ الحاقدون على الحضارة العربية قصمها من الداخل، وتفكيك نظامها اللغوي من أساسياته الذاتية، وصادف هذا الأمر هوى في النفوس الضعيفة من بني الملّة العربية أنفسهم".

---

(1) - صبحي صالح - دراسات في فقه اللغة (دار العلم للملايين (ط1) (1990)) ص: 126.
(2) - مرجع نفسه ص: 130.

وقد نادىس "**قاسم أمين**" بتحرير اللغة العربية من الإعراب إذ يقول:" لم أرى بين جميع الناس من عرفتهم شخصا يقرأ كل ما يقع تحت نظره من غير لحن، أليس هذا برهاناً على وجوب إصلاح اللغة العربية، لي رأي في الإعراب، أذكره هنا بوجه الإجمال، وهو أن تبقى أواخر الكلمات ساكنة لا تتحرّك بأيّ عامل من العوامل بهذه الطريقة وهي طريقة جميع اللّغات الإفرنكية واللغة التركية، ويمكن حذف قواعد النصب والجوازم والحال والاشتغال بدون أن يترتب عليه إخلال باللّغة إذ تبقى مفرداتها كما هي في اللغات الأخرى يقرأ الإنسان ليفهم أمّا في اللغة العربية فإنّه يفهم ليقرأ".[1]

أمّا عن إلغاءه " **للعامل**" فهو لا يقتصر عليه فقط وإنمّا نجد "**ابن مضاء القرطبي**" من العلماء القدماء ينفي نسبة الإعراب إلى العامل إذ يقول:" لم يعرب العرب الكلام للدلالة على المعاني، والفرق بين بعضها وبعض، لأنّ نجد في كلامهم أسماء متفقة في الإعراب مختلفة في المعاني، وأسماء مختلفة في الإعراب متفقة المعاني... وإنما أعربت العرب كلامها لأنّ الاسم في حال الوقف والوصل، وكانوا يبطئون عند الإدراج فلّما وصلوا وأمكنهم التحريك، جعلوا التحريك معاقبا لإسكان، ليعتدل الكلام..."،[2] لكن الذي يجدر الإشارة إليه أن **ابن مضاء القرطبي** لم ينكر العلامة الإعرابية ودورها في تحديد المعنى، على خلاف **قاسم أمين** الذي ينشد العامية ويفضلها على الفصحى وقد ردّ عليه الأستاذ **أحمد خاكي** قائلا:" واللغة العربية لغة تركيبية تمتاز بأحوال البناء والإعراب، وتختلف فيها المعاني وتتشكل حسب الحركات التي نراها في آخر كلّ كلمة من كلماتها، والفاعل والمفعول فيهما يختلفان باختلاف الحركة، وقلّ كذلك في حالات الإعراب الأخرى، وليست حالات الإعراب هذه إلاّ حالات تتغير بتغير الفكرة، وإذا كانوا قد ميّزوا بين الإعراب التقديري والإعراب المحليّ فإنه لم يدعهم إلى ذلك إلا إفراط في الدقة والسخاء في الإصلاحات وإلاّ حدّ بهم على أن يستكثروا في اللغة من المعاني التي لا شك أنّها تتضح وضوحا

---

[1] - جميل علوش- الإعراب والبناء دراسة في نظرية النحو العربي - المرجع السابق ص: 55.

[2] - أحمد سليمان ياقوت- ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم (دار المعرفة الجامعية (دط) (2003)) ص:40.

ظاهرا حينما ندقق في أمر الحركات والعلامات، فإذا ما نحن وقفنا بالسكون عند آخر كل كلمات اللغة العربية، فإن هذا في نفسه قتل لروح اللغة. إن هذا معناه أن هذه الألوان التي تروح وتغدو عند كتابة اللغة العربية سوف تنطمس، فيبدو وجه اللغة حالكاً أغبر، زد على ذلك أنّ منطق اللغة نفسه وهو قائم على حركات الإعراب سوف يتصدّع، بل زد على ذلك أيضا أنّ ميراثنا من الشعر والحكمة سوف يتزايل، لأن أساس الشعر العربي هي تلك الأنغام التي تؤلفها حركات الإعراب، وليس هناك وجه للمقارنة بين اللغة العربية وبين اللغات في هذا الأمر، لأن هذا الأمر اختصت به اللغة العربية وحدها.[1] وقد مدح "**سلامة موسى**"، و"**قاسم أمين**" و"**وليم ولكوكس**" لأنهما خدما المصرين عندما دعا إلى استعمال العامية وهجر الإعراب وإدماج تسكين أواخر الكلمات في الأدب العربي. يقول **سلامة موسى:**" ولكني الآن بعد اختمار الرأي لا أرى أن نهضتنا تقوم إلا بإتباع آراء قاسم أمين ولطفي السيّد وولكوكس باتخاذ اللغة المصرية العامية أو بإيجاد ما يشبه (التسوية) بينها وبين اللغة الفصحى بحيث تتمصرّ هذه اللغة فتصطبغ بألوان بلادنا وتتأقلم في حقولنا ومدننا". ولكن **أمر الإعراب** ليس أكثر صعوبة من أمر هجاء الكلمة الإنجليزية أو الفرنسية ومن يزعمون أن تسكين أواخر الألفاظ يحلّ المشكل واهمون، فلماذا لا يطالبون بتسهيل اللغة الإنجليزية، فالمشكلة هي مشكلة الأجانب الذين يحاولون أن يدرسوا العربية الفصحى فيجدون صعوبة في ذلك.

أما عن الداعون إلى هذه البدعة من العرب بسبب صعوبته –الإعراب– فذلك يرجع إلى الطريقة غير السليمة في تلقين هذه المادة أي أنه خطأ المقيمين على تعليمه فالعجز فينا لا في لغتنا، ويطرح **سليمان ياقوت** برنامجا دراسيا لجيل كامل يبين فيه أن الإعراب لا عيب فيه، ولكن العيب في المتعلمين، وطريقة تعليمهم فالطفل يدرس ست سنوات في الابتدائية ليؤدي امتحانا في نهايتها– الفترة الدراسية– يؤهله نجاحه فيه لدخول المدرسة الإعدادية، ومن مواد هذا الامتحان اللغة العربية المتكوّنة من قراءة نصوص إملاء، تعبير ونحو، ومعلوم أن الإعراب جزء منه... ويخصصّ للنحو في هذا الامتحان

[1] - سالم علوي - وقائع لغوية وأنظار نحوية (دار هومة للنشر والتوزيع - الجزائر (د.ط) (2000)) ص: 243.

10% للغة العربية، وينجح الطالب في مادة اللغة العربية".[1] مع كونه حاصل على درجة واحدة أو درجتين في فرع النحو، ولكنه استطاع أن يجمع درجات النجاح من الفروع الأخرى للغة العربية ثم يدخل الطالب المرحلة الإعدادية لتتراكم القواعد النحوية والصرفية على الطالب ويدخل امتحان الإعدادية، إضافة إلى جهله بالنحو فإن الأساتذة لا يحاسبونه على الأخطاء النحوية، ليدخل بعد ذلك للمرحلة الثانوية، ليجد تيسيرات وضعتها وزارة التربية من شأنها إضاعة النحو أكثر. وإن حصل الطالب على البكالوريا وهو جاهل بأصول الإعراب وقواعده، لم يشعر يوما أنها قيد عليه أو عقبة في سبيل نجاحه، ويدخل الجامعة فإن كان اختياره عملي انقطعت **صلته بالإعراب**، وإن كان اختياره نظري فالمصيبة أفدح فكثير من المحامين يتخرجون من كليات الحقوق وهم يخطئون في كتابة دفاعاتهم، وما كان كل ذلك يحصل لو لا هذا الأساس الضعيف الذي وقف عليه الطالب طفلا ثم صبيا ثم شابا والملاحظ هنا هو أنه على قدر اختلاف الأسباب الداعية لهذه البدعة على قدر وجود التقيد والمعارضة من طرف علماءنا المعاصرين المخلصين للغتهم وعلى دينهم فإن سقطت أحد هذه المقومات أحيلت عنهم إنسانيتهم.

نستنتج عما سبق أن أسباب الدعوة إلى ترك الإعراب تعود إلى سببين هما:

1- ضعف المستوى العلمي الخاص بعلم الإعراب لدى المتعلمين.

2- الدعوات المغرية التي يروج لها بعض الكتاب بترك الإعراب مدعين أن ذلك من سمات العصر بما فيه من تقدم ورقي وساعدهم في ذلك المستشرقون المستعمرون فالتخلي عن الإعراب هو التخلي عن الفصحى وهذا يؤدي حتما إلي ضعف الثغرة القومية عند العرب مما يسهل مهمة الاستعمار.[2]

لكنّ الإعراب جزء أساسي من تكوين اللّغة، يفيدها على المستوى الدلالي والإيقاعي والفصاحي، والتأثيري ولا يمكن الاكتفاء بتسكين أواخر الألفاظ، لأنه غير ممكن في مواقع كثيرة كالشعر العربي الذي يقوم في أوزانه على الإعراب أيضا.[3]

---

(1) - أحمد سليمان ياقوت- ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم (دار المعرفة الجامعية (دط) (2003)) ص:38.

(2) - مرجع نفسه ص: 45-46.

(3) - كمال بشر- دراسات في علم اللغة (دار المعارف - القاهرة (ط2) (1971)) ص: 25.

وهكذا أختم بقول **جميل علوش:**" ولا نستخلص من ذلك كله إلا أن المناداة بتسكين أواخر الألفاظ في العربية، لا يمكن أن تصدر عن أحد اثنين: جاهل أو عن جاهل حاقد، وقد خطر لي أن هؤلاء المنادين بإلغاء الإعراب أو إسقاطه كمن يشكو علة في عينه أو أنفه أو أذنه ولا يجد له الطبيب دواء يصفه له للتخلص من ألمه إلا بتر العضو المعتل. إنّ الإعراب سمة أصيلة في العربية، ومهما كانت دواعيه وأسبابه فهو ظاهرة متمكنة الجذور الآن وليس من السهل بل من الحزم والرجاحة محاولة إزالتها والقضاء عليها. وقد اعتاد على سماعه واستعماله وفهم معاني الكلام من خلاله وبناء على ذلك، تبدو المناداة بإسقاطه ضربا من تجريد العربية من أبرز خصائصها، ومؤامرة على التراث العربي والثقافة العربية، وليس في هذه الدعوة ما يفيد أحدا، اللهم إلا الأجانب والمستشرقين حمى الله العربية والإعراب".[1]

[1] - جميل علوش- الإعراب والبناء دراسة في نظرية النحو العربي (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت- لبنان- (ط1) (1997)) ص: 57.

الفصـــل الثانـــي: التطـــــور التاريخـــي لظاهـــرة الإعـــراب

خلاصـــــــــة:

يعد الإعراب من أبرز الظواهر اللغوية في العربية الفصحى، فقد اقترنت به الفصحى واقترن بها، بحيث ذكر أحدهما مدعاة إلى استدعاء الآخر، وصارت إجادة الإعراب، والبراعة فيه من أدل الدلائل على إجادة الفصحى والبراعة فيها.

ولأمر ما كان الخطأ في **الإعراب** قديما هو أول الأسباب الداعية إلى وضع علم النحو كله خوفا على العربية وعلى القرآن الكريم. وبالتالي فإن الإعراب مرّ بثلاث مراحل:

* مرحلة **العفوية** و**الفطرة الإلهية** التي فتقت العبقرية العربية فكان الإعراب فيها يعني البيان والوضوح كأي أداء لغوي متواضع عليه.

* مرحلة **التقعيد** و**الجمود** وهي مرحلة التنظير والتأسيس لهذه الظاهرة- **الإعراب**- كعلم مستقل بذاته، وقد لخص كتاب **سيبويه** جهوده جل النحاة أو آخر ما توصل إليه المنظرون في اللغة العربية. أما فترة الركود والخمول سبب ما حل بأهلها من ضعف كانت كل الكتب التي ألفت بعد "الكتاب" ما هي إلا شروحات وتيسيرات له.

* مرحلة تلي **الركود** وما بعد **الركود**، وهي تتمثل في إدعاء بعض المعرضين صعوبة الإعراب وعدم منطقيته، وذلك لتهديم أحد أسس ومقومات اللغة العربية.

الفصل الثالث

وظيفة الإعراب في الدرس اللغوي العربي

1- الوظيفة البلاغية للإعراب في بيان المعاني

2- دور الإعراب في حرية الرتبة من خلال التقديم والتأخير

3- أمن اللّبس والترخص في الإعراب

الفصل الثالث: وظيفة الإعـــراب في الدرس اللغـــوي العربي

أ- الوظيفة البلاغية لإعراب في بيان المعاني

اللغة العربية لغة حساسة يغلب أن يتأثر معناها بكل ما يدخل على الأساليب والكلمات من تغيير مهما كان موضعه، وأياً كان نوعه ومقداره.

" فقد سمع عن **الكسائي** يقول: اجتمعت وأبو يوسف القاضي عند هارون الرشيد فجعل أبو يوسف يتم النحو ويقول: ما النحو؟! فقلت- وأردت أن أعلّمه فضل النحو-: ما تقول في رجل قال لرجل: أنا قاتلُ غلامكَ، وقال له آخر أنا قاتلُ غلامك أيهما كنت تأخذ عنه؟ قال: أخذهما جميعاً، فقال له هارون: أخطأت، وكان له علم بالعربية فاستحى وقال: كيف ذلك؟ فقال: الذي يؤخذ بقتل الغلام هو الذي قال: أنا قاتِلُ غلامِك بالإضافة لأنه فعل ماضي فأما الذي قال أنا قاتلُ غلامكَ بلا إضافة فإنه لا يؤخذ لأنه مستقبل لم يكن بعد كما قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً (23) إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ**﴾[*]. فلولا أن التنوين مستقبل ما جاز فيه غداً، فكان أبو يوسف بعد ذلك يمدح العربية والنحو"[1].

وبالتالي كما نرى فالعربية شديدة الحساسية لما يعتري الأساليب والعبارات من تغيّر، ولذلك فإن الإعراب، والعلامة الإعرابية على الخصوص هي أداة الكشف عن المعاني الوظيفية في الجملة كالفاعلية والمفعولية وغيرها من مجموع هذه القرائن التي تعاقب في نظم الكلام، وأن رعاية هذا النظم وإتباع قوانينه هي السبيل إلى الإبانة والإفهام وأنه إذا عدّل بالكلام عن سنن هذا النظم إلا وبيانه إلى علم النحو.[2]

يقول **عبد القاهر الجرجاني:**" واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها، وذلك أنّا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: زيدٌ منطلق وزيد ينطلق وينطلق زيد ومنطلق زيد وزيد المنطلق والمنطلق زيد وزيد هو المنطلق وزيد هو منطلق، وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي

(*) - سورة الكهف. الآية: (23-24).

(1) - السيوطي جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر - الأشباه والنظائر (دار الكتب العلمية- بيروت (ج3) (ط1) (1984)) ص: 305.

(2) - إبراهيم مصطفى- إحياء النحو (دار الآفاق العربية- مصر (دط) (2003)) ص: 17.

تراها في قولك: إن تخرج أخرج وإن خرجتَ خرجتُ وإن تخرج فأنا خارجٌ وأنا خارجٌ إنْ خرجت وأنا إن خرجت خارجٌ... ويتصرف في التعريف والتنكير والتقديم والتأخير في الكلام كلّه- وفي الحـــذف والتكـــرار والإضمار والإظـــهار، فيضع كلا من ذلك مكانه ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له"[1].

وبالتالي فإن العلامة الإعرابية تمثل جانبا من جوانب تحديد الوظيفية النحوية أو المعنى النحوي الذي يترتب عليه تغير في الدلالة (المعنى) وبالتالي الشكل.

وفي موضع آخر نراه يؤكد على دور الإعراب إذ يقول:" قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها، حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه، ولا ينكر ذلك إلا من ينكر حسه، وإلا من غالط في الحقائق نفسه"[2].

والمفهوم من كلام عبد القاهر السابق هو اتفاق العلماء على أن الإعراب هو الذي يكشف عن معاني الألفاظ ولذلك فإن النحاة يتأولون كل ما يخالف الإعراب حرصا على أداء المعنى وتوضيحه وفي هذا الشأن فإن الإعراب لا يفسد المعنى، فإذا كان الإعراب يفسد المعنى فليس هذا من كلام العرب.

وكما هو معروف فإن ظاهرة الإعراب تعتمد على دعامات ألا وهي علامات الإعراب التي جاءت للفصل بين المعاني فكل واحدة من أنواعه أمارة على معنى، فالرفع علم الفاعلية، والنصب علم المفعولية، والجر علم الإضافة.

أما إبراهيم مصطفى فقد خص كل علامة من علامات الإعراب بمعنى محدد" فأما الضمة فإنها علم الإسناد، ودليل أن الكلمة المرفوعة يراد أن يســـند إليـــها ويتحـــدث عنها، وأما الكسرة فإنها علم الإضافة، وإشارة إلى ارتباط الكلمة بما قبلها، سواء أكان هذا الارتباط بأداة أو بغير أداة، كما في كتاب محمد، وكتاب لمحمد، وأما الفتحة فليست علامة

---

(1) - عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز صححه الإمام الشيخ محمد عبده واللغوي الشيخ محمد محمود الشنيقطي- تعليق محمد رشيد رضا (دار المعرفة- بيروت- لبنان (ط2) (1991)) ص: 38.

(2) - مرجع نفسه ص: 38.

إعراب ولا دالة على شيء، بل هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب التي يراد أن تنتهي بها الكلمة كلما أمكن ذلك، فهي بمثابة السكون في لغة العامة"[1].

ولذلك فإن ابن الأثير قد جانبه الصواب عندما قال "إن الإعراب وأقسامه وضروبه أكثرها غير محتاج إليه في إفهام المعاني"[2]. ذلك لأن العلامة الإعرابية تمثل جانبا من جوانب تحديد الوظيفة النحوية أو المعنى النحوي الذي يترتب عليه ما رأينا من تغير في الدلالة، وإهمالها أو الدعوة إلى إلغائها يقوم على عدم إدراك هذا الدور الذي تقوم به، لذلك فإننا حتما نرفض هذا الاتجاه أيضا لأنه متطرف على غير هدى من بصيرة حادقة أو حس لغوي أصيل. ولذلك فإننا نجد أن كتب النحو وغيرها مليئة بالشواهد والأدلة على أهمية العلامة الإعرابية، ونسوق هنا نموذجا لنؤكد على الدور المهم الذي تلعبه العلامة الإعرابية ولنوضح أهميتها في توضيح المعنى والدلالة عليه: من القصص المشهورة الدالة على أهمية العلامة الإعرابية للدلالة على المعنى "ما حدثنا به أبو العباس أحمد بن يحي قال: حدثني سلمة عن الفراء، فقال: كتب الرشيد في ليلة من الليالي إلى أبي يوسف: أفتنا حاطك الله في هذه الأبيات:

فإنْ تَرْفقي يا هند فالرفق أيمن * وإن تخرُقي يا هند فالخُرق أشـــأم**

فأنتِ طلاقٌ والطلاقُ عزيمـــةٌ * ثلاثا، ومَن يخـــرُقْ أعـــقٌ وأظلـــمُ**

فقد أنشد البيت عزيمة ثلاث بالرفع وعزيمة ثلاث بالنصب فكم تطلق بالرفع، وكم تطلق بالنصب. قال أبو يوسف: فقلت في نفسي: هذه مسألة فقهية نحوية وإن قلت فيها بظني لم آمن الخطأ، وإن قالت: لا أعلم، قيل لي: كيف تكون قاضي القضاة وأنت لا تعرف مثل هذا؟ ثم ذكرت أن أبا الحسن علي بن حمزة الكسائي معي في الشارع فقلت:... فدخلت على الكسائي وهو في فراشه فأقرأته الرقعة، فقال لي: خذ الدواة وأنبأها أن الطلاق لا يكون إلا ثلاثة ولا شيء عليه، وأما من أنشد بالنصب: عزيمة ثلاثا فقد

---

[1] - إبراهيم مصطفى- إحياء النحو (دار الآفاق العربية- مصر (دط) (2003)) ص: 50.

[2] - المرجع نفسه ص: 50.

طلقها وأبانها، لأنه قال: أنت طالق ثلاثا. فأنفذت الجواب فحملت إلي آخر الليل بجوائز وصلات فوجهت بالجميع إلى الكسائي"[1].

وبناءا على ما تم تقدم من هذه القصة فإن العلامات أو الحركات الإعرابية تؤثر في المعنى التركيبي خاصة وتعطي الجملة إيجازا بديعيا بلاغيا لا مثيل له في غير العربية والإيجاز في اللفظ مع الوفاء بالدلالة على الشيء المراد. ومن الأدلة كذلك ما يلي: قال الشاعر نجيب جمال الدين في ديوانه "الكتابة على أعمدة الشمس":

وهزت دمالـــــيج دل لتســـأل ماذا يحاكي رنين الســـــوار

فقلت: **كبيـــــــت بغابـــــة خـــوف وريحٌ وثلجٌ وبعضُ جـــــمار**

وشيخٌ على الجمر يرمى فقصفٌ ويا ما أحيلي بليل الصـــــغار

وعاد إلى الهـــز زنبقـــها الغض يغوي القصيد ويغري...يغار[2]

نلاحظ في هذه الأبيات التي قام الشاعر نفسه، في الديوان المطبوع برفع كلماتها الخمس التي تعنينا وهي الكلمات المدونة بحرف مميز. إن رفع الكلمات الخمس المرفوعة (وريحٌ وثلجٌ وبعضُ، وشيخٌ فقصفٌ) يؤدي معنى ليس للجر إلا أن يؤدي سواه.

وقيام الشاعر بضبط هذه الكلمات بالضم هو تلبية لحاجة طبيعة أحسها وهو يؤدي معانيه ويوجهها إلى سواه، لأن عدم التحريك لا يمكن، لا في السياق التركيبي، ولا في السياق الدلالي لأبيات، إلا أن يفضي إلى الجر بالعطف على مجرور، أي أن ذهن المتلقي الخالي من معنى الرفع الذي عبر عنه الشاعر بالضمّ الظاهر، لا يذهب إلى هذا المعنى إلا إذا نبهه منشئ الكلام إليه، ودفعه دفعا للبحث عن معنى مغاير لمعنى الجرّ. أي ليس لنا إلا بالرفع المعبر عنه بالضم الظاهر، إلا بالإعراب أن نفهم المعنى النحوي التركيبي الذي أراده الشاعر لكلماته المرفوعة وأبياته التي تتضمن هذه الكلمات.

---

[1] - محمد حماسة عبد اللطيف - العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث (دار غريب للطابعة والنشر والتوزيع- القاهرة- (دط) 2001)) ص: 282.

[2] - أحمد حاطوم- كتاب الإعراب محاولة جديدة لاكتناه الظاهرة (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر- بيروت- لبنان (ط2) (1992)) ص: 92.

سأستدل بنوع من النثر كذلك لجلاء أهمية الإعراب وخاصة الحركات الإعرابية أو العلامات التي لها تأثير لا مناص له في اللغة العربية، وبالتالي الوفاء بالدلالة على المعنى المراد.

– بالخيالْ والفكرْ، غزا الإنسانْ الفضاءْ، أولْ ما غزاه، منذ قديمْ الزمانْ، ثم بالمركبات والسوافن الفضائية. وفي العصرْ الحديثْ، وبما بينهما من أدواتْ الرصدْ والاستكشافْ ومبادئ العلومْ، وقد رمى الإنسانْ القديمْ بصره إلى هذا الكون العبابْ، فجعل يتساءلْ عن هذه الأشياءْ المضيئةْ في القبةْ التي تظله، ومضى يتأملْ في ما يراقبه من طبيعتها وحركتها على اختلاف الليلْ والنهارْ، ومدارْ الفصولْ، فتراكمت بين يديه نظرات وحقائقْ وأوهامْ صنع منها علمْ الفلكْ الحديثْ بما فيه من روائعْ.[1]

إن قراءةً بسيطة لهذا الكلام، نسقط بها إعرابه بالتسكين، أو نخالف أحكـــامه باللحن، تظهر بوضوح أننا، مع التسكين واللحن، نستمر في فهم المعنى المجمل وفهم كل معنى من المعاني النحوية– التركيبة الداخلة في تكوين المعنى العام–

ولأن الإعراب الماثل في النص، الإعراب الشكلي، هو على هذه الدرجة من الانقطاع عن المعاني النحوية– التركيبة، أي عن المعنى العام للكلام.

نلاحظ كذلك من هذا النص بأن وظيفة الحركات أو العلامة الإعرابية على الخصوص لها دور مهم في تحديد المعنى النحوي– أو معنى الباب النحوي– فكما عرّفنا الإعراب سابقا بأنه تغير حركة آخر الكلمة من رفع إلى نصب وجر وفق تغير موقعها من الإعراب، فإننا نرى هنا مثلا في النص: بالخيالْ والفكرْ بالتسكين أي أن كل أبناء العربية يفهمون من قولنا بالخيالْ والفكرْ بالتسكين كما يفهمون بالخيالِ والفكرِ كذلك بقية النص كغزا الإنسانْ الفضاءْ بالتسكين وغزا الإنسانُ الفضاءَ فهو عجيبٌ لأن كثير من الجمل إذا أهمل فيها الإعراب أشتبه على السامع فهمها لاحتمالها معاني لا يميزها إلا الإعراب أو إطالتها بكلام مفصل يدل على المعنى المراد، أي أن النص غني بالعلامات الإعرابية من رفع ونصب وجر، باعتبار اللغة العربية ترتقي أحيانا بمواضع الرفع، والخفض، والتعجب

[1] أحمد حاطوم- كتاب الإعراب محاولة جديدة لاكتناه الظاهرة - المرجع نفسه ص: 48.

والاستفهام، أما إذا أهملنا هذه المواضع بالتسكين فإن المعنى أو بالأحرى مهمة تحديد المعنى ستكون قاصرة في الكشف عن الجانب الدلالي وبالتالي يكون نوع من الالتباس.

كذلك فإننا إذا نظرنا مثلا إلى قولنا: ما أحسن زيد، فإننا نجد لهذه الجملة ثلاث معان تختلف باختلاف الحركات في أواخر كلماتها مع بقاء مبانيها وتركيبها الفظي كما هي، فنقول:

1-«ما أحسن زيداً» ننصبها ونحن نريد التعجب فيكون ذلك قائما مقام أعجب كثيرا لحسن زيد.

2- « ما أحسنُ زيدٍ» نرفع أحسن ونخفض زيدا، ونحن نريد الاستفهام وهي قائمة مقام قولنا أستفهم وأستفهم عن أحسن شيء في زيد.

3-« ما أحسنَ زيدُ» نفتح أحسن ونرفع زيدا ونحن نريد الاستفهام أيضا وهي قائمة مقام قولنا أي شيء من الإحسان فعله زيد.

وإذا نظرنا أيضا إلى قولنا: « هذا كريم أحسن منه عالم» فإذا رفعنا كريما وعالما كان المراد شخصين اثنين أحدهما عالم والآخر كريم، ولكن العالم أحسن منه الكريم، وإذا نصبناها كانا شخصا واحدا عالما وكريما، ولكنه في كرمه أحسن منه في علمه.

وما يمكن قوله في الأخير أن ظاهرة الإعراب والعلامة الإعرابية على الخصوص لها دور مهم في تحديد المعنى النحوي – أو معنى الباب النحوي- لا يستطيع أحد إنكاره حتى ولو كانت قاصرة عن كشف جانب من المعنى وهو الجانب المعجمي للكلمة، فالإعراب يتحمل أكبر عبء في أداء المعاني الدقيقة، وهو دلالة متكلم العربية وقارئها لإدراك وجهة المعاني ومسارها أم القول بتفضيل إهمال الحركات على استعمالها بحجة أن المعنى لا يفسد بإهمالها لأن كل أبناء العربية يفهمون من قولنا زيدٌ مسافرْ – بالتسكين- كما رأينا ذلك واضحا في النص السابق الغائب عنه العلامات أو الحركات الإعرابية- كما يفهمون ذلك زيدٌ مسافرٌ إن صحّ التعبير- بالتحريك- فهو عجيب لأن كثير من الجمل إذا أهمل فيها الإعراب اشتبه على السامع فهمها لاحتمالها معاني لا يميزها إلا الإعراب أو إطالتها بكلام مفصل يدل على المعنى المراد، وبالتالي أمن اللبس.

الفصل الثالث: وظيفة الإعـــراب في الدرس اللغـــوي العربي

2- دور الإعـــراب في حـــرية الرتبـــة

لقد حاولنا من خلال هذا المبحث أن أوضح المعاني التي يقصدها النحاة حينما يقولون إن الإعراب يكشف عن المعاني ويميز بينها، هي المعاني الوظيفة من فاعلية ومفعولية وغيرها. وخاصة عندما يعتري هذه الكلمات ظاهرة اللبس، وهكذا وضع الإعراب في الأسماء ليزيل اللبس الحاصل فيها باعتبار المعاني المختلفة عليها. لكنه لا يحمّل الإعراب كل مسؤولية الإبانة بل يشترك معه شيئين آخرين أحدهما الرتبة والآخر القرائن اللفظية والمعنوية. فطبيعة الأصل أن العرب مجمعون على رفع الفاعل ونصب المفعول به إلا أنه قد جاء الفاعل منصوبا والمفعول مرفوعا.

ولهذا ارتأيت إلى درس هذه الظاهرة، حيث تطرقت إلى:

* دور الإعراب في حرية الرتبة.
  - ماهية الترتيب لغة واصطلاحا.
  - الترتيب من وجهة نظر علماء النحو والبلاغة.
  - الترتيب في اللغة العربية.
* أمن اللبس والترخص في الإعراب.
* تحكم اللبس في حفظ المراتب.

أ- التباس المبتدأ بالخبر.

ب- التباس المبتدأ بالفاعل.

ج- التباس الفاعل بالمفعول.

وبالتالي فإن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يفتحها الإعراب.

الفصل الثالث: وظيفة الإعـــراب في الدرس اللغـــوي العربي

لقد كانت ظاهرة الإعراب مثار جدل حاد وطويل ومزمن، دار حول تحديد مكانة الإعراب من جسد العبارة أو من البنى التركيبية التي تدخل في تكوينها، وما أريد أن أقف عنده هو الحديث عن علاقة الإعراب بالمعنى، كذلك علاقة الإعراب بحرية الرتبة تقديما وتأخيرا. أي يجب أن تكون هناك قواعد دقيقة لترتيب الكلمات، عندما لا يوجد أي عنصر من عناصر – الإعراب– هناك تجاذب بين الرتبة والإعراب، فاللغات غير الإعرابية تكون الرتبة غالبا فيها محددة للوظيفة التركيبة بينما في اللغات الإعرابية، لا نحتاج إلى الرتبة في مكونات الجملة لتحديد وظيفة مركباتها الاسمية، وتتدخل الرتبة عند تعذر ظهور علامات الإعراب عليها لموانع صوتية.

وقد تنبه عدد من العلماء قديما وحديثا إلى الإمكانية التي تتيحها ظاهرة الإعراب في اللغة العربية من المقدرة على حرية الحركة وتعدد الأماكن التي يمكن أن يحتلها كل جزء من أجزاء الجملة يقول **الزجاج:**" إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني، فتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ومضافا إليها، ولم تكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني جعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني فقالوا:" ضَرَبَ زَيْدٌ عمرًا " فدلوا برفع "زيد" على أن الفعل له وبنصب –عمرو– على أن الفعل واقع به وكذلك سائر المعاني... ليتسعوا في كلامهم ويقدموا الفاعل إذا أرادوا ذلك أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه وتكون الحركات دالة على المعاني".[1]

وأكد ابن جنيّ الفكرة نفسها بقوله:" باب القول على الإعراب هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ"[2] ألا ترى أنك إذا سمعت:

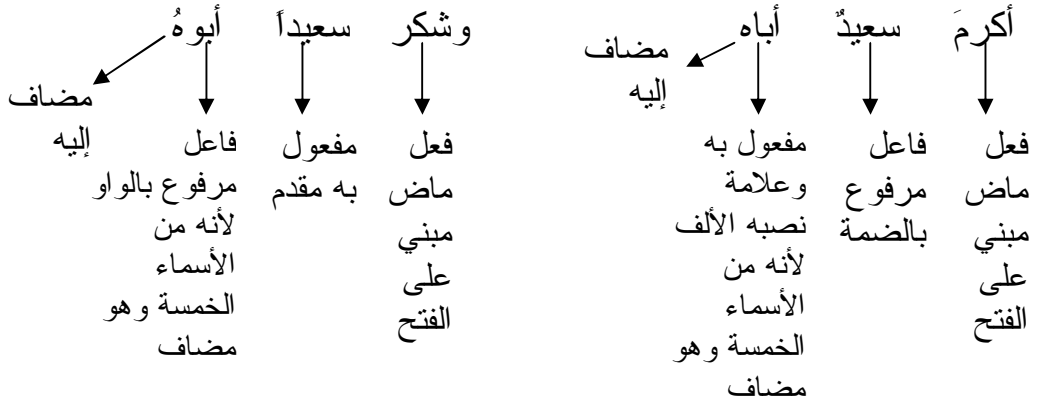

[1] - السيوطي- الأشباه والنظائر (دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان (ط1) (1984)) ص 69-70.
[2] - ابن جني - الخصائص تحقيق محمد علي النجار (دار الكتب المصرية (ج1) (دط) (1955)) ص: 35.

علمت برفع أحدهما ونصب الآخر، الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرحا واحدا لاستبهم أحدهما من صاحبه.

والتزام الرتبة بوصفها بديلا عن العلامة الإعرابية في تمييز العناصر، يؤدي عند **ابن يعيش** إلى تضييق المذهب والحدّ من الاتساع يقول:" الإعراب الإبانة باختلاف أواخر الكلام لتعاقب الكلام في أولها، ألا ترى أنك لو قلت:" ضَرَبَ زيدْ عَمْرُو " بالسكون من غير إعراب لم يعلم الفاعل من المفعول، ولو اقتصر في البيان على حفظ **المرتبة** فيعلم الفاعل بتقدمه والمفعول بتأخره، لضاق المذهب ولم يوجد من الاتساع بالتقديم والتأخير ما يوجد بوجود الإعراب[1]، ألا ترى أننا نقول:

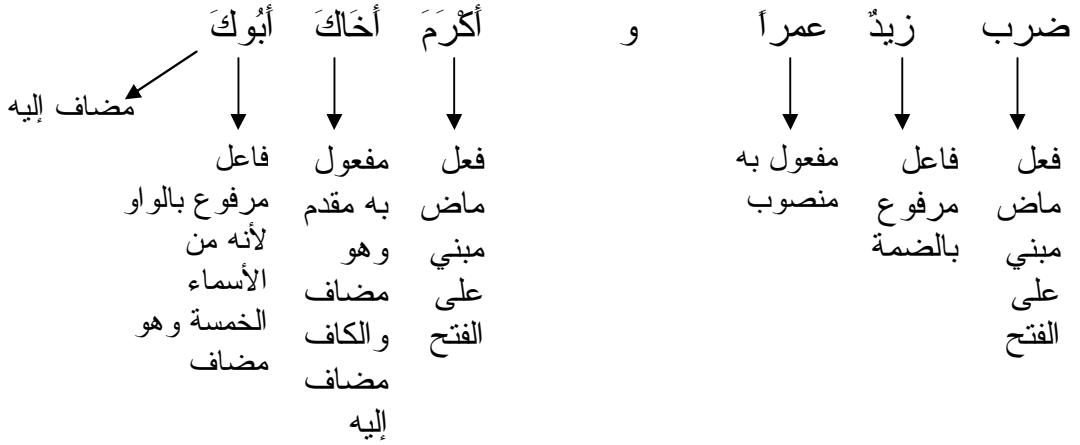

فيعلم الفاعل برفعه والمفعول بنصبه سواء تقدم أو تأخر، أقول هذا شيء قادت إليه الضرورة لتعذر ظهور الإعراب فيهما، ولو ظهر الإعراب فيهما أو في أحدهما أو وجدت قرينة لفظية أو معنوية جاز الاتساع بالتقديم والتأخير نحو:

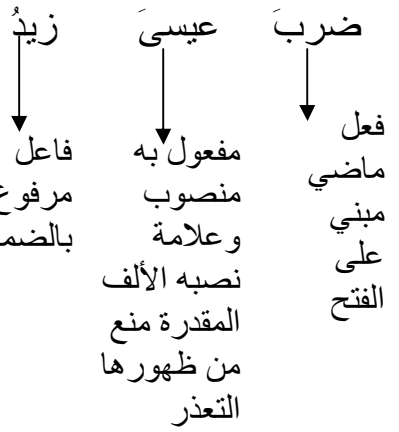

[1] أبو منصور بن حيان- شرح الفصيح في اللغة- تحقيق عبد الجبار (وزارة الثقافة والإعلام- بغداد (ط1) (1991)) ص: 327.

نلاحظ ظهور الرفع في "زيد" يعرفنا أن "عيسى" مفعول به ولم يظهر فيه الإعراب.

كذلك لو قلنا:

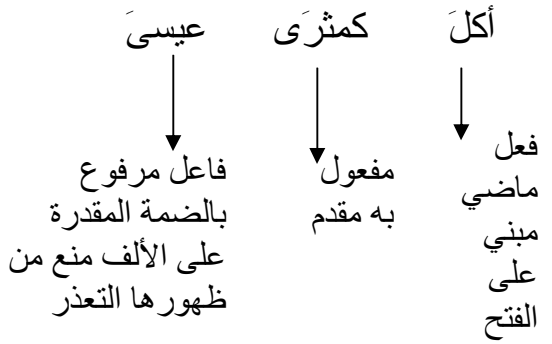

نلاحظ هنا أنه جاز تقديم المفعول لظهور المعنى، لسبق الخاطر إلى أن "الكمثرى" مأكول، وبالتالي فهو المفعول به. وهذا واضح الدلالة على **تعاون العلامة الإعرابية والرتبة** فيما سماه **ابن يعيش** بالاتساع، هذا الاتساع بالتقديم والتأخير الذي مكن بناء الجملة العربية من الغنى والتنوع من مثل ما نجده في الشعر والنثر على حد سواء وكذلك في القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿ ***إِنَّمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ***﴾[*] فالجملة تعليل للرؤية لأن الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته، وأفعاله، فمن كان أعلم به كان أخشى منه فتعرب كالتالي:

إنما: كافة ومكفوفة.

يخشى: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر.

الله: اسم جلالة مفعول به مقدم.

ومن عباده: حال.

العلماء: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

فهنا يكمن عنصر التقدير والتأخير والحصر في هذه الآية لحصر الخشية بالعلماء، فعلى آخر لفظ الجلالة **(الله)** فتحة تدل على أنه مفعول به كأنه قيل إن الذين يخشونه الله من عباده العلماء دون غيرهم، أما إذا قدمنا الفاعل فإن المعنى ينقلب إلى أنهم لا يخشون إلا **الله**، وهما يختلفان كما يبدو للمتأمل.

---

[*] سورة فاطر الآية (28).

ولو تبدلت مواقع الفتحة والضمة لفسد المعنى. كذلك في الآيات التالية:

﴿ ***أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ***﴾(*).

﴿ ***وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّه***﴾(*).

﴿ ***وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَى***﴾(*).

فمثل مواقع الكلمات في هذه الآيات لا يمكن أن يكون إلا في لغة لا يزال الإعراب فيها حيا، ولا يزال يقوم مقام الرتبة ويتيح فيها حرية ملحوظة.

أما إذا انتفى الإعراب اللفظي في الفاعل والمفعول معا مع انتقاء القرينة الدالة على تميز أحدهما عن الآخر، وجب تقديم الفاعل لأنه إذا انتفت العلامة الموضوعة للتميز بينهما.

والقرائن اللفظية والمعنوية التي قد توجد في بعض المواضع دالة على تعين أحدهما من الآخر فيلزم كل واحد مركزه ليعرف بالمكان الأصلي.

وعلى هذا الأساس قال **العكبري** في إعراب قوله تعالى﴿**أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى**﴾(*) "إحداهما" للفاعل و"الأخرى" للمفعول، ويصح في المعنى العكس إلا أنه يمتنع في الإعراب على ظاهر قول النحويين، لأن الفاعل والمفعول إذا لم يظهر فيهما علامة الإعراب أوجبوا تقديم الفاعل في كل موضع يخاف فيه **اللبس**، فعلى هذا إذا **أمن اللبس** جاز تقديم المفعول كقولك "كسر عيسى العصا".[1]

ويؤمن اللبس بالقرائن اللفظية كالإعراب الظاهر في تابع أحدهما أو كليهما نحو:

* ضرب موسى عيسى ← فعل + فاعل + مفـــعول به.

(*) - سورة التوبة الآية (03).

(*) - سورة البقرة الآية (23).

(*) - سورة النساء الآية (08).

(*) - سورة البقرة الآية (282).

[1] - العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين- التبيان في إعراب القرآن- تحقيق محمد علي البجاوي (مطبعة عيسى البابي الحلبي- القاهرة - مصر (دط) (1976)) ص: 187

واتصال علامة الفاعل بالفعل نحو: ضربت موسى حبلى← فعل + مفعول به + فاعل أو بالقرائن المعنوية نحو: أكل الكمثرى موسى← فعل + مفعول به + فاعل.

ماهية الترتيب لغة واصطلاحا:

أتحدث أولا باختصار عن معنى الترتيب لغة واصطلاحا.

أ- لغة: جاء في لسان العرب أن الرتبة مشتقة من الفعل الثلاثي "ر، ت، ب" يقال: رتب الشيء، يرتب، رتوبا، ثبت فلم يتحرك، والمرتبة: المنزلة الرفيعة أراد بها الغزوة والحَجَ ونحوهما من العبادات الشاقة.[1]

والرتب الصخور المتقاربة، بعضها أرفع من بعض، فالرتبة – هنا- الثبوت والاستقرار[2]. بمعنى أن هذا يدل على أن الرتبة لغة هي: الموضع والمنزلة وهذا المعنى اللغوي له علاقة بالمعنى النحوي المراد الحديث عنه في هذا المبحث.

ب- اصطلاحا: لقد عرف النحاة دور الترتيب في عناصر التركيب، ولكنهم لم يعالجوه في مبحث مستقل، بل توزع على كل أبواب النحو، ولعل فهم ابن جني لدور الرتبة هو الذي جعله يقول:" ولا يجوز تقديم الصلة، ولا شيء منها على الموصول، ولا الصفة على الموصوف، ولا المبدل على المبدل عنه، ولا عطف البيان على المعطوف عليه، ولا العطف الذي هو نسق على المعطوف عليه...ولا يجوز تقديم المضاف إليه على المضاف، ولا شيء مما اتصل به، ولا يجوز تقديم الجواب على المجاب شرطا كان أو قسما أو غيرهما"[3].

ويتضح مفهوم الترتيب أكثر فيما ذهب إليه عبد القادر الجرجاني عند تعريفه للنظم باعتباره ذاته الترتيب حيث يقول:" واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منه"[4].

---

(1) - ابن منظور- لسان العرب (دار صادر للطباعة والنشر - بيروت - لبنان- (ط1) (دس)) المادة المعجمية: (رتب) ص 409.

(2) - الزمخشري - أساس البلاغة (مكتبة لبنان ناشرون (ط1) (1996)) المادة: (رتب) ص 334- 335.

(3) - ابن جني - الخصائص تحقيق عبد الحميد هنداوي (دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان (ج2) (دط) (1955)) ص: 385-387.

(4) - عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز- (دار المعرفة- بيروت- لبنان (ط2) (1991)) ص: 77.

والظاهر أن الجرجاني حين استعمل مصطلح الترتيب أراد به شيئين أولهما الترتيب الذي يتناوله النحاة أثناء دراسة التركيب وثانيهما ما يدرسه علماء البلاغة في موضوع "التقديم والتأخير" غير أن دراسة التقديم والتأخير في البلاغة هي دراسة لأسلوب التركيب، لا للتركيب ذاته.

ويبدو من هذا كله أن المراد بالرتبة أو الترتيب هو موضع الكلمة أو موقعها المعلوم في التركيب كأن تأتي متقدمة أو متأخرة.

*** الترتيب من وجهة نظر علماء النحو والبلاغة ***

يعد سيبويه أول من تحدث عن مسألة الترتيب (التقديم والتأخير)، إذ يراه من أسرار كلام العرب، يقول: " فإن قدمت المفعول، وأخرت الفاعل، جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك في قولنا: ضربا زيداً عبد الله ← فعل + مفعول به + فاعل، لأنك إنما أردت به مؤخرا ما أردت به مقدما، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤخرا في اللفظ فمن ثم كان حد اللفظ أن يكون فيه مقدما، وهو عربي جيد كثير، كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم"[1].

ويلحظ **سيبويه** – التقديم والتأخير– في أبواب عدة من أبواب النحو وهو لا يرى أن البلاغة تكمن في هذا أو ذاك دوما، بل قد تأتي في موضع القبح رغم كون الكلام مستقيما، فيه نقص من ناحية النحو حيث يقول:" ويحتملون قبح الكلام، حتى يضعوه في غير موضعه، لأنه مستقيم ليس فيه نقص، ومن ذلك قول الشاعر:

صددتِ فأطلتِ الصدود وقلما وصالُ على طول الصدود يدومُ

وإنما الكلام: وقلما يدوم وصال"[2].

أما **السكاكي**– وهو من علماء البلاغة– فيقول في هذا الشأن" ...والعناية التامة بتقديم ما يقدم، والاهتمام بشأنه نوعان: أحدهما أن يكون أصل الكلام في ذلك، هو التقديم ولا يكون في مقتضى الحال ما يدع للعدول عنه، كالمبتدأ المعرف، فإن أصله التقديم على

---

[1] - سيبويه عمر بن عثمان بن قنبر- الكتاب حققه عبد السلام هارون (دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان (ج1) (ط1) (1999)) ص: 34.

[2] - المرجع نفسه ص: 13.

الخبر نحو زيد عارف، وكذا الحال المعرف فأصله التقديم نحو: جاء زيدُ راكبًا وثانيهما أن تكون العناية بتقديمه والاهتمام بشأنه"[1].

وهكذا يتضح لنا أن خروج الجملة عن نمطها التركيبي المألوف يأتي لأمر فني فالخروج عن نواميس اللغة وقوانينها فيما يجوز يعد إبداعا وتفجيرا لطاقات اللغة.

*** الترتـــيب في اللغـــة العربيـــة ***

إن البنية الأصلية في الجملة العربية بالنظر إلى موقعها ورتبتها وحالاتها الإعرابية والعلامات الدالة على تلك الحالات هي من نمط: فعل + فاعل + مفعول به (ف+فا+مفع) (س)، حيث (س) رمز متغير قد يوجـد مركبا حرفيا أو ظرفيا أو أحـد المتممات كالصفة والحـال والتميز، وهذا الترتيب يلازم الجملة سواء أكان فعلها لازما أم متعديا. والجدير بالذكر–هنا– أنه لا يحد حرية هذه الرتبة إلا احتمال وقول اللبس والغموض نحو: أكرم موسى عيسى، ونحو أخي صديقي، حيث يتعين في "موسى" أن يكون مسندا إليه وفي "أخي" أن يكون مسندا إليه حفاظا على أصل الترتيب قصد تجنب الغموض.

ومهما يكون من أمر فإن مسألة الترتيـب تعد ملمـحا من ملامح اللغة العربية سمحت به، ومهدت له **العلاقة الإعرابية، وحرية الرتبة** في كثير من التراكيب.

فالترتيب "**التقديم والتأخير**" عند جل العلماء والباحثين قديما وحديثا يكاد الأمر يتعلق بالبنية الداخلية المرتبطة بالمعنى في ذهن المتكلم، وليس كما يرى بعض الباحثين المحدثين، يقول إبراهيم أنيس:" ولست أغالي حين أقرر–هنا– أن المفعول لا يصح أن يسبق ركني الإسناد في الجمل المثبتة كما يزعم أصحاب البلاغة في تلك الأمثلة المصنوعة، من نحو: زيدًا ضربت، زيدًا ضربته، أما التقديم في مثل الآيات القرآنية: ﴿**إياك نعبدُ وإياك نستعينُ**﴾ فالأمر فيه لا يعدو أن يكون رعاية لموسيقى الفاصلة القرآنية، فهي إذن شبيه بالقافية الشعرية التي يحرص الشاعر على موسيقاها كل الحرص"[2].

---

[1] - رشيد بلحبيب- ضوابط التقديم وحفظ المراتب في النحو العربي (دار النشر والطبع بوجدة- المغرب (ط1) (1998)) ص: 102.

[2] - إبراهيم مصطفى - إحياء النحو (دار الآفاق العربية - مصر (دط) (2003)) ص: 34.

ولا نطيل الوقوف عند هذا الرأي ونواصل رأي العلماء القدامى الذين يرون أن تقديم المفعول به يكون لاختصاص، فإنا قلنا زيدًا ضربت فأننا نعني: ما ضربت إلا زيدًا. كذلك في قوله تعالى:﴿**إياك نعبدُ وإياك نستعينُ**﴾[*] والمعنى نخصك بالعبادة، ونخصك بطلب المعونة وإن قيل، لم قدم المفعول على الفعل؟ قيل له: اهتماما، وشأن العرب تقديم الأهم وأيضا لئلا يتقدم ذكر العابد والعبادة على المعبود.

وقد ورد التقديم والتأخير في كلام العرب وأشعارهم كثيرا، فضلا عما ورد منه في القرآن الكريم، فورد التقديم على أشكال وصور متعددة، منها تقديم المفعول به على الفاعل وعلى الفعل والفاعل معا، وورد تقديم الخبر، وتقديم المتممات "الفُضْلاتْ" في حدود نصت عليها الأحكام والقواعد النحوية.

يتضح من الأمثلة المذكورة آنفا تطبيقا لما ورد من آراء العلماء أن الترتيب أو بالأحرى الرتبة يراد به سرا من أسرار العربية وأداة يقرب بها المعنى العميق.

وقد سبق القول: إن الترتيب هو نقل مورفيم من موقع أصل له إلى موقع آخر صغيرا بذلك صورة الجملة، ومحولا معناها إلى معنى جديد تربطه بالمعنى الأول رابطة واضحة فالجملة: أنجز الطالب الدرس. أنجزَ الطالبُ الدرسَ ← فعل + فاعل + مفعول (أ) جملة فعلية لا تركيز فيها على أي عنصر من عناصر الجملة وغرضها إيصال الخبر من المتكلم إلى المتلقي فيدرك الغاية منها وهو الإخبار لا غير. (فعل + فاعل+ مفعول) غير أن المتكلم إذا قصد إيصال الخبر بتركيز على عنصر من عناصر الجملة من الشكل التالي: الطالبُ أنجزَ البحثَ ← فاعل + فعل + مفعول به (ب) ، فقد ركز هنا على المسند إليه وهو الفاعل، أما الجملة الفعلية التالية البحثَ أنجزَ الطالبُ ← مفعول به + فعل + فاعل (ج)، فقد كان التركيز هنا على المفعول به. وقديما قال سيبويه وغيره " والعرب إن أرادت العناية بشيء قدمته".

[*] سورة الفاتحة الآية (5).

فالجملتان (ب) و(ج) فعليتان كان التوكيد في إحداهما للفاعل الطالبُ فهو فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره مقدم لغرض التأكيد وفي الأخرى البحثَ فهو مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره فهو كذلك مقدم لغرض التأكيد.

وكذلك في الجملة التالية الأستاذُ محمدُ ← خبر + مبتدأ فهي جملة اسمية تقدم فيها المسند (الأستاذُ) وتأخر المسند إليه (محمدُ) فكلمة محمد مسند إليه تقدم أم تأخر، ولا تكون كلمة الأستاذ مسند إليه مبتدأ والغرض منها هو التأكيد (الخبر فيها مقدم) والأصل هو محمدُ أستاذُ ثم جرى فيها التقديم فصارت ألـــ + أستاذ + محمد.

جملـــة ركــن الإسنـــاد

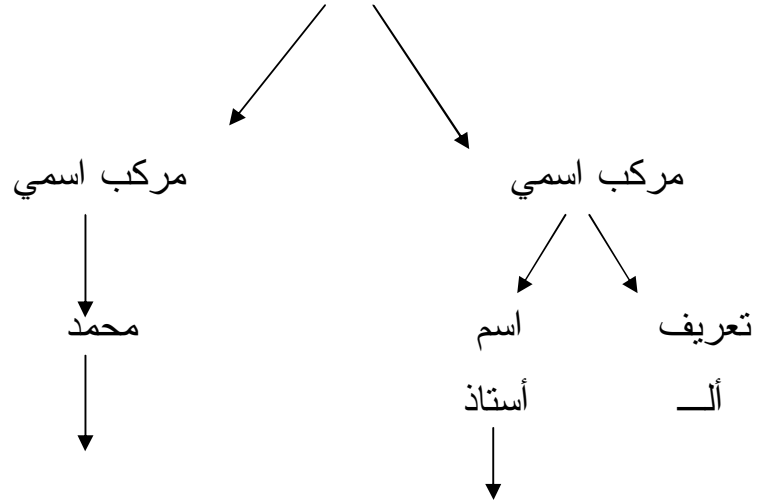

نلاحظ تقديم الخبر في هذه الجملة وهو عنصر أساسي من عناصر الجملة فالأصل فيه الذكر، ولا يعدل عنه إلا لقرنية تدل عليه لكن يرجح ذكره لأغراض أهمها: التقديم كما هو في الجملة المذكورة آنفا ذلك لأن المسند إليه ورد مؤخرا والمسند الخبر تقدم على خلاف الأصل.

ولنتأمل جيدا قيمة الترتيب بحيث ورد المسند إليه "الفاعل" مقدما على المسند "الفعل" وذلك في قوله تعالى: ﴿**والله يحب المحسنين**﴾ سورة آل عمران الآية 131. وأمثل الآية التالية بالمشجر التالي:

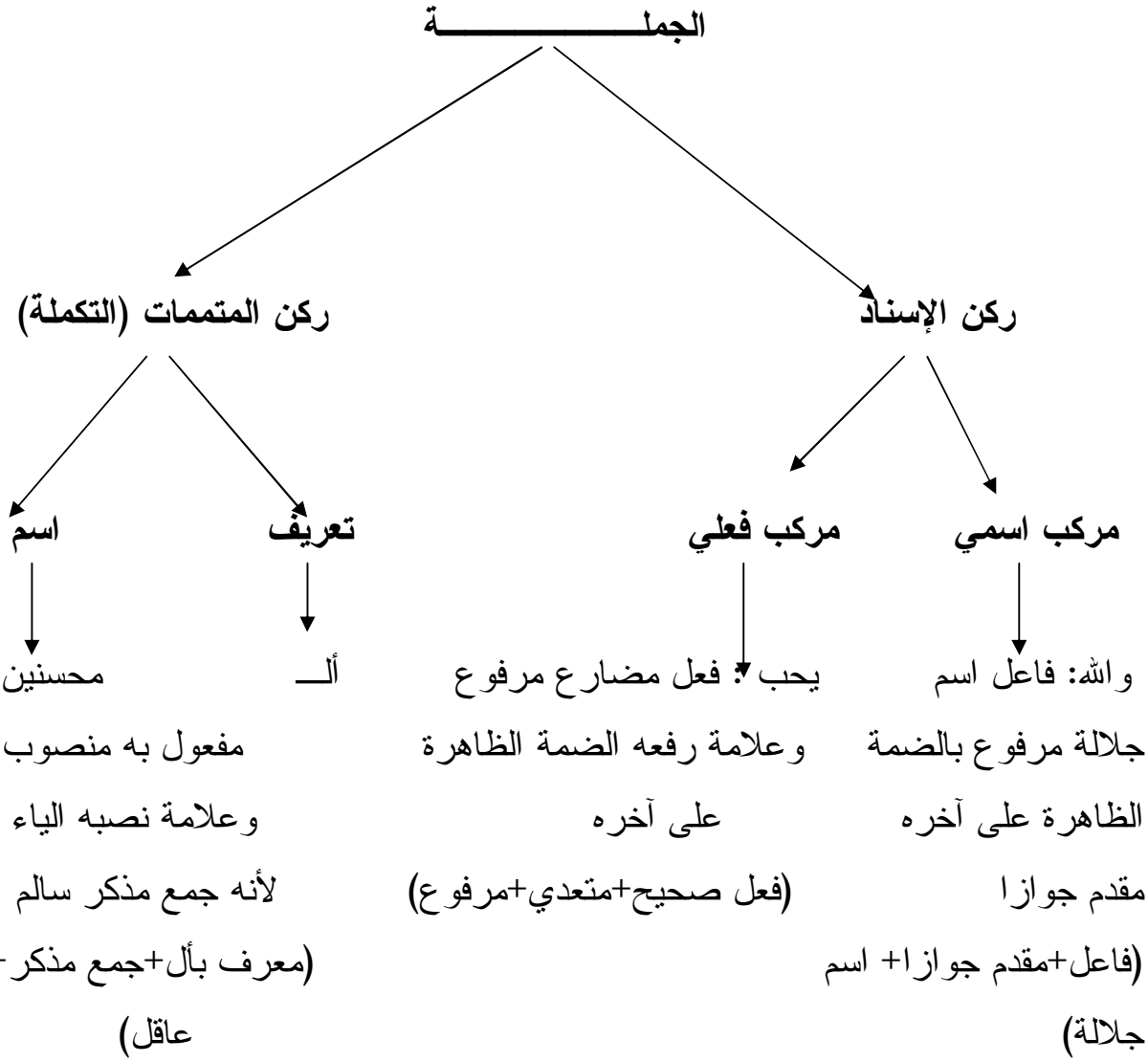

* نلاحظ هنا في هذه الآية الكريمة تقديم الفاعل (الله) على الفعل (يحب) وذلك لدلالة على التأكيد.

لقد اتضح بما لا مجال للشك فيه أن للإعراب دور واضح في حرية الرتبة في العربية، وأن احترام الرتبة يصير ضروريا عند غياب هذه العلامات، وفي هذا تنبيه على أن التقديم والتأخير وحريتهما في الجملة مرتبطان بالإعراب، وأنه لا تقديم ولا تأخير عند غياب هذا الضابط.

3- أمــن اللبــس والتــرخص في الإعــراب

للكلمة عندما تكون منفردة معزولة عن جملتها، معنى جزئي هو دلالتها المعجمية الخاصة أو كونها وحدة صرفية، ومجال معالجتها، والحالة هذه في علم المعجم، أو علم الصرف، فإذا كانت الكلمة مما يقبل الإعراب اسما كانت أو فعلا سميت "معربة" إذ المراد بالمعرب ما كان فيه إعراب أو قابلا لإعراب، وليس المراد منه أن يكون فيه إعراب لا محالة"[1]. فإذا انضمت الكلمة إلى غيرها وفقا لشرائط التركيب، وحسب نظامها في بناء الجمل أصبح لها معنى إضافي نابع من وجودها في التركيب، وتحقق في الكلمة المعربة حينئذ الإعراب الفعلي، فالإعراب لا يقوم بنفسه والاسم إذا كان وحده من غير ضميمة إليه لم يستحق الإعراب، لأن الإعراب إنما يؤتى به للفرق بين المعاني وبالتالي أمن اللبس والترخص في الإعراب.

إن من أصول العربية الدلالة بالحركات على المعاني فإذا استهدينا بهذا الأصل وجب أن نرى في هذه، العلامات الإعرابية إشارة إلى معان يقصد إليها فتجعل تلك الحركات دوال عليها وما كان للعرب أن يلتزموا هذه الحركات ويحرصوا عليها ذلك الحصر كله، وهي لا تعمل في تصوير المعنى شيئا، بل لقد كانت حارسا لأمن اللبس في النظام والسياق معا.[2]

ومن التباس الحركات في الإعراب نجد الخروج عن المعنى، فنسمع رفع المفعول به ونصب الفاعل مثال ذلك: **خرق الثوبُ المسمارَ** فالنتبين المثال التالي فهل يخرق الثوب المسمار؟ فهذا المثال صريح الدلالة على أن كلا من الفاعل والمفعول به قد تخلا عن **العلامة الإعرابية** في كل من الفاعل: المسمارُ ← فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره.

والمفعول به: الثوبَ ← مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره. كذلك في المثال التالي: **كسر الزجاجُ الحجرَ**، ففي هذا المثال تبادل كل من الفاعل والمفعول الرتبة وهذا ما لست بصدده بل الترخص في العلامة الإعرابية، كذلك معرفة موقع كل من الفاعل

---

(1) - ابن يعيش - شرح المفصل (لجنة التأليف والترجمة والنشر - مصر (ج1) (دط) (دس)) ص: 39.
(2) - المرجع نفسه ص: 40.

والمفعول هذا طبعا راجع إلى الحركة الإعرابية على آخر الكلمة وهو تحليل منطقي ربما اعتاده كل ذهن حتى ولو كان في قالب جامد، فرفع المفعول به ونصب الفاعل هو التباس صريح، والأصل: **كسر الزجاجَ الحجرُ**.

الزجاجَ: مفعول به منصوب مقدم وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

الحجرُ: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

* ومنه قول الشاعر:

مثل القنافد هداجون قد بلغت نجران أو بلغت سوءاتِهم هجرُ

فهنا الالتباس قلب الفاعل فصار مفعولا، لأن السوءات هي التي تبلغ هجر فنصبها ورفع هجر.

يقول **السيوطي:**" إنما وضع- الإعراب- في الأسماء ليزيل اللبس الحاصل فيها باعتبار المعاني المختلفة عليها، ولذلك استغنى عنه: الأفعال والحروف والمضمرات والموصولات لأنها دالة على معانيها بصيغها المختلفة فلم تحتج إليه، ولما كان الفعل المضارع قد تعتوره معان مختلفة كالاسم دخل فيه الإعراب ليزيل اللبس عند اعتوارها، ومنه رفع الفاعل ونصب المفعول فإن ذلك لخوف اللبس منهما لو استويا في الرفع أو في النصب"[1].

إن العرب مجمعون على رفع الفاعل ونصب المفعول به إذا ذكر الفاعل إلا أنه قد جاء الفاعل منصوبا والمفعول مرفوعا، وبالتالي **فظاهرة الإعراب** لها دور جليٌ في إبراز **دلالة العلامة الإعرابية.**

يقول **ابن مالك:**

ورفع مفعول به لا يلتبس ونصب فاعل أجز ولا تقس

[1] - السيوطي- همع الهوامش في شرح جمع الجوامع (دار المعرفة- بيروت- لبنان (دط) (دس)) ص: 85.

قال **ابن الطراوة:**" بل هو مقيس ومنه في القرآن الكريم: ﴿**فتلقى آدم من ربه كلمات**﴾ [البقرة /36] **فابن كثير** وهو القارئ المكي من القراء السبعة ينصب آدم ويرفع كلمات. وقد كان **ابن الطراوة** يقول:" إذا فهم المعنى فارفع ما شئت وانصب ما شئت وإنما يحافظ على رفع الفاعل ونصب المفعول، إذا احتمل كل واحد منهما أن يكون فاعلا"[1].

وذلك نحو: " **ضرب زيدٌ عمرا**"← فعل + فاعل + مفعول به، فلو لم ترفع " زيدٌ" وتنصب "عمرا" لم يعلم الفاعل من المفعول أي أن الحركة لها دور مهم في إيضاح المعنى.

فحركات الإعراب هي التي أتاحت للعربية مثل هذه المرونة التي يستفيد منها الناثر والشاعر كلاهما، يقول **العقاد**" فهذا الإعراب المفصل في هذه اللغة الشاعرة هو آية السليقة الفنية في التراكيب العربية المفيدة، ولها بعد ذلك مزية تجعلها قابلة **للتقديم والتأخير** في كل وزن من أوزان البحور لأن **علامات الإعراب** تدل على معناها كيفما كان موقعها من الجمل المنظومة، فلا يصعب على الشاعر أن يتصرف بها دون أن يغير معناها إذ كان المعنى موقوفا على حركتها المستقلة الملازمة لها وليس هو الموقوف على ترص الكلمات كما ترص الجمادات...".

ويجعل التزام الرتبة الذي ارتأينا إليه قيدا يكبل عملية الإبداع يقول:" ولا يستقسم هذا النسق لشاعر ينظم بغير اللغة العربية، لأن الترتيب الآلي يقيده بموضع لا يتعداه"[2] وهذا القيد هو الذي أفلتت منه العربية بفضل مزية الإعراب فيها، وقد تنبه جل النحاة إلى أن اللغات– ومنها العربية– لغات لا يعرض فيها النحو أي نظام إجباري، ولا تتأثر العلامة المنطقية التي بين كلمات الجملة في شيء إذا غيرنا وضعها... تقول العربية:

- يضرب زيدٌ عمراً ← فعل + فاعل + مفـــعول به.
- يضرب عمراً زيدٌ ← فعل + مفـــعول به + فاعل } التقديم والتأخير
- عمراً يضرب زيدٌ ← مفـــعول به + فعل + فاعل } التقديم والتأخير

(1) - رشيد بلحبيب- ضوابط التقديم وحفظ المراتب في النحو العربي (دار النشر والطبع بوجدة- المغرب (ط1) (1998)) ص: 144.

(2) - عبد القادر حسين- أثر النحاة في البحث البلاغي (دار النهضة- مصر- القاهر (دط) (1975)) ص: 76.

نلاحظ من هذه الأمثلة أن بفضل الإعراب يستطيع الكاتب أو المتحدث أن يتصرف في الجملة، فيراعي دواعي التقديم والتأخير، دون أن يبقى أسيرا للحجرات النحـــوية الثابتة، **فظاهرة التقديم والتأخير** ظاهرة مسموح بها في لغة لها ما يضبط حركة ألفاظها ووظائفها داخل التركيب، ذلك سواء، قدمنا أو أخرنا نظل مرتبطين بهذا الضابط الذي هو: **الإعـــراب**، فالمفعول يقدم ويظل مفعولا لأنه منصوب، والفاعل يقدم على المفعول ويظل فاعلا لأنه مرفوع إلا أن هذه الحرية التي يتيحها الإعراب ليست مطلقة، فلنتأمل في الأمثلة التالية:

- أكلَ الرجلُ التفاحة ← فعل + فاعل + مفـــعول به.
- أكلَ التفاحة الرجلُ ← فعل + مفـــعول به + فاعل.
- الرجلُ أكلَ التفاحة ← فاعل + فعل + مفـــعول به.
- الرجلُ التفاحة أكلَ ← فاعل + مفـــعول به + فعل.
- التفاحة أكلَ الرجلُ ← مفـــعول به + فعل + فاعل.
- التفاحة الرجلُ أكلَ ← مفـــعول به + فاعل + فعل.

نلاحظ أننا لا نحتاج إلى وقت طويل لكي نتوصل إلى أن بعض هذه البنى غير متوافرة في واقع اللغة مما يدل على وجود ضوابط في الجملة تحد من حرية ترتيب عناصرها الأساسية بالرغم من أن كل الأسماء السابقة تحمل إشارات أو مميزات تدل على قيمتها النحوية فهي لا تغير موقعها إلا بموجب قواعد خاصة، قواعد تقديم المفعول على الفاعل، قواعد تقديم المفعول على الفعل والفاعل.

الفصل الثالث: وظيفة الإعـــراب في الدرس اللغـــوي العربي

* تحكـــم اللبس في حـــفظ المراتـــب *

إن المصدر الذي نريد أن نقف عنده باعتباره من مصادر اللبس الكبرى هو **التقديم والتأخير**، فالأصل فيه عدم اللبس، إلا أن الكاتب أو الشاعر قد يذهب مذهب التوعر فيقدم ويؤخر دون أن يراعي الأصول قاصدا اللبس والتعمية.

يقول ابن القيم معلقا على قول الشاعر:

نفلق ها من لم تنله رماحنا بأسيافنا هام الملوك القماقم

وتقديره: نفلق بأسي فناهام الملوك القماقم، ومن لم تنله سيوفنا و"ها" للتنبيه تقديره: تنبهوا لهذا المعنى وإنما دعاه إلى التقديم والتأخير إيقاع اللبس على السامع وجعله من باب الألغاز.

أما إذا خيف اللبس وهدد القصد وأمكن للسامع أن يحمل الخطـــاب على غير المراد، فينتقض العهد وينحل العقد وتتبدل القضية والحكم فلا مناص من إيفاء اللغة أقدارها وإحلال الكلمات محالها.

يقول **جبر ضموط** " فإذا راعيت هذه الأغراض- المحافظة على حسن الرصف والفاصلة- فيقدم ما شئت وأخر ما شئت علـــى شرط ألا يقع التباس في الجملـــة ولا تعقيد، أما الالتباس فلا يسوغ بوجه من الوجوه ولذلك لا يصح في جملة "لو اشتريت لك بدرهم لحما تأكلينه" تأخير المجرور الأول وتقديم الثاني عليه ولا في جملة قوله تعالى: ﴿**وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى**﴾ أن تؤخر المجرور، لأن التأخير يؤدي في الحالتين إلى الالتباس"[1].

---

[1] - رشيد بلحبيب- ضوابط التقديم وحفظ المراتب في النحو العربي (دار النشر والطبع بوجدة- المغرب (ط1) (1998)) ص: 102.

فالتقديم قد يكون دافعا للبس أو جالبا له، واللبس قيد من القيود التي تحد من حرية الجملة العربية ومن حركية مفرداتها، وسوف نحاول البرهنة على هذا الأمر من خلال النماذج النحوية الآتية:

أ- التباس المبتدأ بالخبر:

نحن نعرف جليا إلى أن المبتدأ أو الخبر يتميزان بنوع من الحرية فيسمح التركيب العربي بتقديم الخبر وتأخير المبتدأ ما لم يؤدي ذلك إلى لبس ومن الحالات التي يجب فيها أن يلزم كل موضعه، إذا كانا معرفتين أو نكرتين متساويين في التخصيص ولا قرينة تميز أحدهما عن الآخر[1]، فالمعرفتان نحو: زيد أخوك ← مبتدأ + خبر، فإن كلا من هذين الجزأين صالح لأن يخبر عنه بالآخر ويختلف المعنى باختلاف الغرض فإذا عرف السامع زيداً بعينه واسمه ولا يعرف المخاطب اتصافه بأنه أخو المخاطب وأردنا أن نعرف ذلك فقلنا: أخوك زيد، ولا يصح لك أن تقول زيد أخوك.

والنكرتان المتساويتان نحو: أفضل منك أفضل مني، فإن كل واحد من هذين الوصفين صالح لأن يخبر عنه بالآخر لعمله في المجرور بعده، فإذا جعلنا أفضل منك ← مبتدأ امتنع تقديم الخبر لئلا يتوهم ابتدائيته المعنى لعدم القرينة.

ومن أطرف ما في هذا الأمر أن جماعة من النحويين لا يجيزون تقديم خبر المبتدأ عليه إذا كان معرفة، فلا يجيزون أن يقال: أخوك زيد، والمراد زيد أخوك، ومن حججهم أن يقع الإشكال فلا يعلم السامع أيهما المسند وأيهما المسند إليه، فلما عرض فيهما الإشكال لم يجز التقديم والتأخير، وكان ذلك بمنزلة الفاعل والمفعول لم يجز تقديم المفعول كقولنا: "**ضرب موسى عيسى**".

بخلاف ما إذا كان معه قرينة لفظية أو معنوية فاللبس ينتفي. فالأول نحو: رجل صالح فإن القرينة اللفظية وهي الصفة قاضية على النكرة الموصوفة بالابتدائية تقدمت أو تأخرت والثاني نحو: **أبو يوسف أبو علي**، فإن القرينة المعنوية وهي التشبيه الحقيقي قاضية بأن أبو يوسف مبتدأ لأنه مشبه وأبو علي خبره لأنه مشبه به تقدم أو تأخر، ومع

---

[1] - محمد حماسة عبد اللطيف – النحو والدلالة مدخل لدراســة المعنــى النحوي والدلالي (مطبعة المدنية- دار السلام- القاهرة- (ط1) (1982)) ص: 140-141.

ذلك يجوز فيها أن يتقدم الخبر أبو علي وهو المشبه به ويتأخر المبتدأ أبو يوسف فتصير الجملة: **أبو علي أبو يوسف**، لأن القرينة المعنوية وهي التشبيه الحقيقي تقضي بأن يكون أبو يوسف مبتدأ تقدم أو تأخر لأنه مشبه، وأن يكون أبو علي خبرا تقدم أو تأخر لأنه مشبه به.

إذن فالعنصر الدلالي يقوم عند فقدان ما يميز الوظائف النحوية بعضها من بعض بالتميز بين هذه الوظائف مما يتيح لها حرية الرتبة فتقدم من تأخير أو تؤخر من تقديم.

يقول **عبد القاهر الجرجاني:**" وأعلم أنه ليس من كلام يعمد واضعه فيه إلى معرفتين فيجعلهما مبتدأ أو خبرا ثم يقدم الذي هو الخبر إلا أشكل الأمر عليك فلم تعلم أن المقدم خبر حتى ترجع إلى المعنى وتحسن التدبر"[1].

ففي قول الشاعر: **نم وإن لم تنم كراي كراك**، ينبغي أن يكون كراي خبرا مقدما ويكون الأصل كراك كراي، أي نم وإن لم أنم فنومك نومي... فهو كبيت الحماسة:

بَنُونَا بَنُو أَبْنَائِنَا وَبَنَاتُنَا بَنُوهُنّ أَبْنَاءُ الرّجَالِ الأَبَاعِدِ

فقدم خبر المبتدأ وهو معرفة، وإنما دل على أنه ينوي التأخير المعنى، لولا ذلك لكانت المعرفة إذا قدمت هي المبتدأ لتقدمها أي أنه لا يحسن أن يكون "بنونا" هو المبتدأ لأنه يلزم منه أن لا يكون له بنون إلا بنى أبنائه وليس المعنى على ذلك فجاز تقديم الخبر هنا مع كونه معرفة لظهور المعنى وأمن اللبس، وصار هذا كجواز تقديم المفعول على الفاعل.

ب- التباس المبتدأ بالفاعل:

ومما يجب فيه تأخير الخبر أن يخاف التباس المبتدأ بالفاعل إذا تقدم الخبر وكان فعلا مسندا إلى ضمير المبتدأ المستتر نحو: "**زيد قام**"← فاعل مرفوع+ فعل ماضي، أو "يقوم" ← فعل مضارع، فلو قدم والحالة هذه وقيل:" قام" أو "يقوم"، لالتبس المبتدأ بالفاعل بخلاف ما إذا كان الخبر صفة نحو: زيد قائمٌ، أو كان فعلا رافعا لظاهر أو لضـــمير بارز[2].

---

[1] - عبد القاهر الجرجاني- أسرار البلاغة (دار المسيرة- بيروت- لبنان (ط2) (1983)) ص: 374.

[2] - أحمد المتوكل- الجملة المركبة في اللغة العربية (منشورات عكاظ- المغرب (ط1) (1988)) ص: 52.

فالأول نحو: **زيد قام أبوه** ←(قام) فعل؛ والثاني نحو: **أخواكِ قاما** على اللغة الفصحى فلا لبس فيهن فيجوز تقديمه فنقول: قائم زيدٌ و"**قام أبوه زيد**" و" **قاما أخواك**".

إذن، إذا كان الخبر فعلا فإنه لا يجوز أن يتقدم لأنه إذا تقدم الفعل على الاسم خرج من حد الابتداء وارتفع بالفعل وهذا مما يؤدي إلى التباس المبتدأ بالفاعل لا محالة.

ج- التباس الفاعل بالمبتدأ:

لابد في الجملة الفعلية من ذكر الفعل قبل الفاعل مطلقا، ولا يجوز تقدم الفاعل ودليل امتناع تقديم الفاعل هو التباسه بالمبتدأ، وتحول الإسناد من إسناد فعلي إلى إسناد اسمي، وهذا ما عبر عنه **الشهاب القاسمي** بقوله: "فإن قلت: لم امتنع التقديم لتوهم الفاعلية مع أنه لا يختلف المعنى، قلت يختلفان بالجملة الاسمية والفعلية المختلفتين بإفادة الأولى الثبوت والثانية التجدد والحدوث".

وقد لاحظ النحاة هذا المعنى ومن ثم قالوا: إن رتبة المبتدأ التقديم لأنه محكوم عليه والمحكوم عليه قبل الحكم بخلاف جملة الفعل والفاعل فإن المقصود فيها أولا إنما هو المسند أي الفعل مضافا إليه الفاعل ثم ما لا سيه من بقية متعلقاته، ولهذا لا يقدم الفاعل على الفعل أصلا لئلا يلتبس بالمبتدأ في أنه هو المقصود أولا.[1]

ويقوي ذلك أن حكم المبتدأ أن يؤتى به أولا لثان، وحكم الفاعل أن يؤتى ثانيا لأول نعنى أن حكم المبتدأ أن يقدم قبل الحديث عنه فيكون حديثه تابعا لحديثه قبل أن يعرض للمبتدأ المجاز، والأشخاص مقدمة في الرتبة قبل حركاتها الموجودة منها قبل تأثيرها في غيرها وأيضا فإن الفاعل يجوز أن ينعكس مبتدأ أبدا ما لم يكن فيه ضمير عائد إلى مفعوله.

وإذا كان النحاة قد عللوا امتناع تقديم الفاعل بالتباسه بالمبتدأ فإنهم جوزوا تقديمه متى زال المانع، قال **الآمدي** في شرح الجزولية:" ولا يبعد عندي أن يقال إن هذا الفعل يصح له العمل في الأول مقدما عليه وذلك مع أداة تطلب بالفعل... إلا أن يضع من ذلك مانع وذلك المانع في الفاعل هو أن يلتبس بالمبتدأ في قولك: قام زيد (فعل + فاعل)، زيد

---

[1] - أحمد المتوكل- الجملة المركبة في اللغة العربية - مرجع نفسه ص: 52- 53.

قام (فاعل+ فعل)[1]، ثم قال:" فإذا جاء حرف لا يليه الفعل لفظا أو تقديرا أزال ذلك اللبس فصح أن يكون فاعلا مقدما إن قدرت الفعل فارغا من الضمير، وفاعلا بإضمار فعل إن قدرت الفعل مشغولا بضمير..."[2].

د- التباس الفاعل بالمفعول:

في ظاهرة الإعراب هناك ظواهر كثيرة كما رأينا سابقا التباس المبتدأ بالفاعل أو العكس وهنا تتدخل الحركة الإعرابية لتوضيح المعنى.

لابد في الجملة الفعلية من ذكر الفعل قبل الفاعل مطلقا، وأما سواه من بقية المتعلقات فالأصل فيها أن تتأخر عن الفعل إلا أنها بحسب الصناعة اللفظية، لا يتعين بينها وبين الفعل ترتيب مخصوص فلك أن تقدم ما شئت منها على الفعل أو تؤخره على ما تراه مناسبا بشرط أن تحافظ مع الالتباس وتتجنب التقيد.[3]

فالمفعول به قد يتقدم على الفاعل وقد يتأخر عنه نحو:

* ضرب زيدا عمرو ← فعل + مفـــعول به + فاعل.

* خرق السترَ المسمارُ ← فعل + مفـــعول به + فاعل.

لأن ظهور الإعراب في الاسمين قد بين الفاعل من المفعول، فإذا لم يظهر الإعراب فيهما أو في أحدهما كقولنا: "ضرب موسى يحي" لم يجز التقديم والتأخير، لما يؤدي إليه ذلك من **التباس المفعول بالفاعل** وذلك أن الفاعل والمفعول إذا لم يكن في الكلام ما يدل عليهما التزمت العرب تقديم الفاعل وتأخير المفعول ففي المثال التالي: "ضرب موسى عيسى" ولم يكن معنا ما يدل على الفاعل فإن المتقدم هو المفعول.

فالنظام النحـــوي يلـــزم أن يتقدم الفاعل علـــى المفعول به إذا خيف التباس أحدهما بالآخر، وذلك إذا خفيت العلامة الإعرابية ولم تكن هناك قرينة لفظية أو معنوية تبين أحدهما بالآخر وكذلك فقدان العلامة الإعرابية في نحو المثال السابق "ضرب موسى عيسى" هو الذي يلزم بتقدم الفاعل على المفعول به وبعبارة أخرى يقيد الرتبة.

---

(1) - تمام حسان- اللغة العربية معناها ومبناها (دار الثقافة- المغرب (دط) (دس)) ص: 208.

(2) - المرجع نفسه ص: 208.

(3) - أحمد حاطوم- كتاب الإعراب محاولة جديدة لاكتناه الظاهرة (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر - بيروت- لبنان (ط2) (1992)) ص: 279.

نلاحظ في المثال التالي: "أكرمت موسى سعدى" لحاق علامة التأنيث بالفعل فنعلم جليا أن موسى مفعول وأن سعدى هي الفاعلة للحاق علامة التأنيث الفعل.

أكرمت	موسى	سعدى
↓	↓	↓
فعل ماضي مبني على الفتح والتاء للتأنيث	مفعول به منصوب بالفتحة المقدرة على الألف المقصورة منع من ظهورها التعذر	فاعل مرفوع بالضمة المقدرة على الألف المقصورة منع من ظهورها التعذر

إذا لو كان "موسى" هو الفاعل لقلنا:" أكرم موسى سعدى" وبالتالي فإن العلامة الإعرابية هي إحدى الوسائل التـــي اصطنعتها اللغة للتمـــيز بين العناصر بعضها البعض، فللرتبة دور مهم في الجملة فهي تساعد على رفع اللبس عن المعنى بوضع مخصوص وترتيب مخصوص فإن بدل ذلك الوضع والترتيب زالت تلك الدلالة. أي أن الأصل في الجملة العربية (فعل + فاعل + مفـــعول به) بالاحتفاظ بالرتبة الأصلية عند غياب الإعراب أي عدم إمكان اللبس في الجمل التي يتوارد فيها الفاعل والمفعول بدون إعراب بارز أي تخفى العلامة الإعرابية مثل:

ضرب	عيسى	موسى
↓	↓	↓
فعل ماضي مبني على الفتح	فاعل مرفوع بالضمة المقدرة على الألف المقصورة منع من ظهورها التعذر	مفعول به منصوب بالفتحة المقدرة على الألف المقصورة منع من ظهورها التعذر

ضرب موسى عيسى ← فعل + فاعل + مفعول به.

كما نلاحظ "فعيسى" فاعل بالضرورة في الجملة الأولى و"موسى" مفعول، و"موسى" فاعل بالضرورة في الجملة الثانية و"عيسى" مفعول مع أن الأمر بخلاف ذلك في الجملة "ضرب عيسى زيداً "، وهذا نظرا لبروز العلامة الإعرابية وبالتالي عدم وجود اللبس من الفاعل والمفعول.

الفصل الثالث: وظيفة الإعـــراب في الدرس اللغـــوي العربي

خلاصـــــــة:

إن للإعراب وظائف عديدة حاولت حصرها فيما يلي:

– الإعراب له دور مهم في تحديد المعنى النحوي والبلاغي عند عبد القاهر الجرجاني الذي يرى أن بالإعراب يمكننا أن نستشف معاني الكلام.

– كما تطرقنا إلى العلامة الإعرابية ودورها في تحديد المعنى فكما رأينا أن كل علامة من علامات الإعراب أصلية في نفسها، فالضمة علامة إعراب أصلية فيما يمكن أن توجد فيه، ومثال ذلك: الضمة الظاهرة قول الشاعر مفدي زكريا:

نَطقَ الرصاصُ فما يُباحُ كلامُ وجرَى القصاصُ فما يُتاحُ ملامُ

وإعرابها كالتالي:

نطق: فعل ماض مبني على الفتح الظاهر على آخره.

الرصاص: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

فما: الفاء استئنائية – وما نافية لا عمل لها–

يباح: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

كلام: نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

و: الواو حرف عطف.

جرى: فعل ماضي مبني على الفتحة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر.

القصاص: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

فما: الفاء استئنائية – وما نافية لا عمل لها–

يتاح: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

ملام: نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

والواو: علامة إعراب أصلية في الكلمات التي توجد فيها ومثال ذلك أبوكَ ذو همّةٍ.

أبوك: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه من الأسماء الخمسة وهو مضاف والكاف **ضمير** متصل مبني في محل جر بالإضافة.

ذو: خبر مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه من الأسماء الخمسة وهو مضاف.

همة: مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة على آخره.

وأما الكلمات التي لا تقبل إحدى هذه العلامات فهي كلمات خالية من العلامة الإعرابية؛ وليس معنى خلوها من العلامة الإعرابية أنها خالية من الإعراب، إذ أنها لها حالة إعرابية تعرف عن طريق القرائن التي تكشف عن هذه الحالة الإعرابية من رتبة وصيغة وغير ذلك، ففي مثل:

أكرم	عيسى	موسى
↓	↓	↓
فعل ماضي مبني على الفتح	فاعل مرفوع بالضمة المقدرة على الألف المقصورة منع من ظهورها التعذر	مفعول به منصوب بالفتحة المقدرة على الألف المقصورة منع من ظهورها التعذر

ففي هذا المثال لا توجد علامة إعرابية في كل من "عيسى" و"موسى" ولكن رتبة كل منهما تحدد حالته الإعرابية ووظيفته في الجملة.

وبالتالي فإن تقدير العلامة الإعرابية قد يكون سببه ما أضفاه النحاة على العلامة من دلالة على الفاعلية والمفعولية أو غيرهما من الحالات الإعرابية.

وعلى الإجمال نستطيع أن نقول أن هناك خمس عشرة علامة للإعراب وهي: الضمة والواو والألف والنون للرفع، والفتحة والألف والياء والكسرة وحذف النون للنصب، والكسرة والفتحة والياء للجر، والسكون وحذف حرف العلة، وحذف النون للجزم.

ولهذا كان دور العلاقة الإعرابية دورا بارزا في الحفاظ على الرتبة وبالتالي أمن اللبس ومثال ذلك أنه قد شاع في لسان العرب تقديم المفعول الملتبس بضمير الفاعل عليه نحو: خاف ربه عمر.

* خاف ربه عمر ← فعل + مفعول ملتبس بضمير الفاعل + فاعل ونحو قول الشاعر:

جاء الخلافة أو كانت له قدرا كما أتى ربه موسى على قدر

(أتى ربَه موسى) ← فعل + مفعول ملتبس بضمير الفاعل + فاعل.

لأن الضمير فيه وإن عاد على متأخر في اللفظ إلا أنه متقدم في الرتبة لأن الفاعل أصله التقديم على المفعول، لأن الأصل في الفاعل أن يتصل بالفعل وهو متقدم رتبة وإن تأخر لفظا.

فإذا قلنا مثلا: ضرب غلامه زيد كان في الظاهر إضمارا قبل الذكر لأن الهاء في غلامه منصوب "بزيد" و"زيد" بعده، وإضمار الشيء قبل ذكره لا يجوز، إلا أن هذا جاز جوازا حسن لأجل أن "غلامه" في "ضرب غلامه زيد"، "غلامه" مفعول، و"زيد" فاعل ومرتبة المفعول بعد مرتبة، الفاعل، فإذا قدمناه في اللفظ كان مؤخرا في النية والتقدير فالقول بـــ: **ضرب غلامه زيد** مجرى القول: **ضرب زيد غلامه**، كذلك التباس الفاعل بضـــمير المفـــعول المتأخر، فإذا قلنا مثلا: ضرب غلامه زيدا فرفعت غلامه بضرب وأوقعته بهذه كان واقعا فـــي مرتبته، والشيء إذا وقع فـــي موضعه لم يـــقدر فيه التأخير، وإذا كان كذلك كان غلامه في قولنا: ضرب غلامه زيدا مقدما على زيد لفظا وتقديرا، فلا يجوز لأجل أن الهاء المتعلق به ضمير زيد هو إضمار قبل الذكر. كذلك الأمر في التباس المبتدأ بالخبر إلى غير ذلك.

وبالتالي إن اللغة العربية – وكل لغة أخرى في الوجود– تنظر إلى **أمن اللبس** باعتباره غاية لا يمكن التفريط فيها لأن **اللغة الملبسة** لا تصلح واسطة لإفهام والفهم وقد خلقت اللغات أساسا لإفهام أي أن من أهم أركان العملية التواصلية الإفادة، أي الابتعاد عن اللبس أو مما سميه **تشومسكي** الغموض التركيبي ولهذا صاغ النحويون العرب قواعد من مثل "**الأصل في الكلام أن يوضع للفائدة**" ولا يجوز الابتداء بالنكرة لأنها لا تفيد ومثال ذلك رجلٌ منطلقاً أو كان إنساناً حليماً، كان الكلام ملتبسا لأنه لا يستنكر أن يكون في الدنيا إنسان هكذا، فكرهوا أن يبدءوا بما فيه اللبس ويجعلوا المعرفة خبرا لما يكون فيه هذا اللبس. ومتى زالت الفائدة أو التبست صار الكلام عبارة عن ركام من الألفاظ.

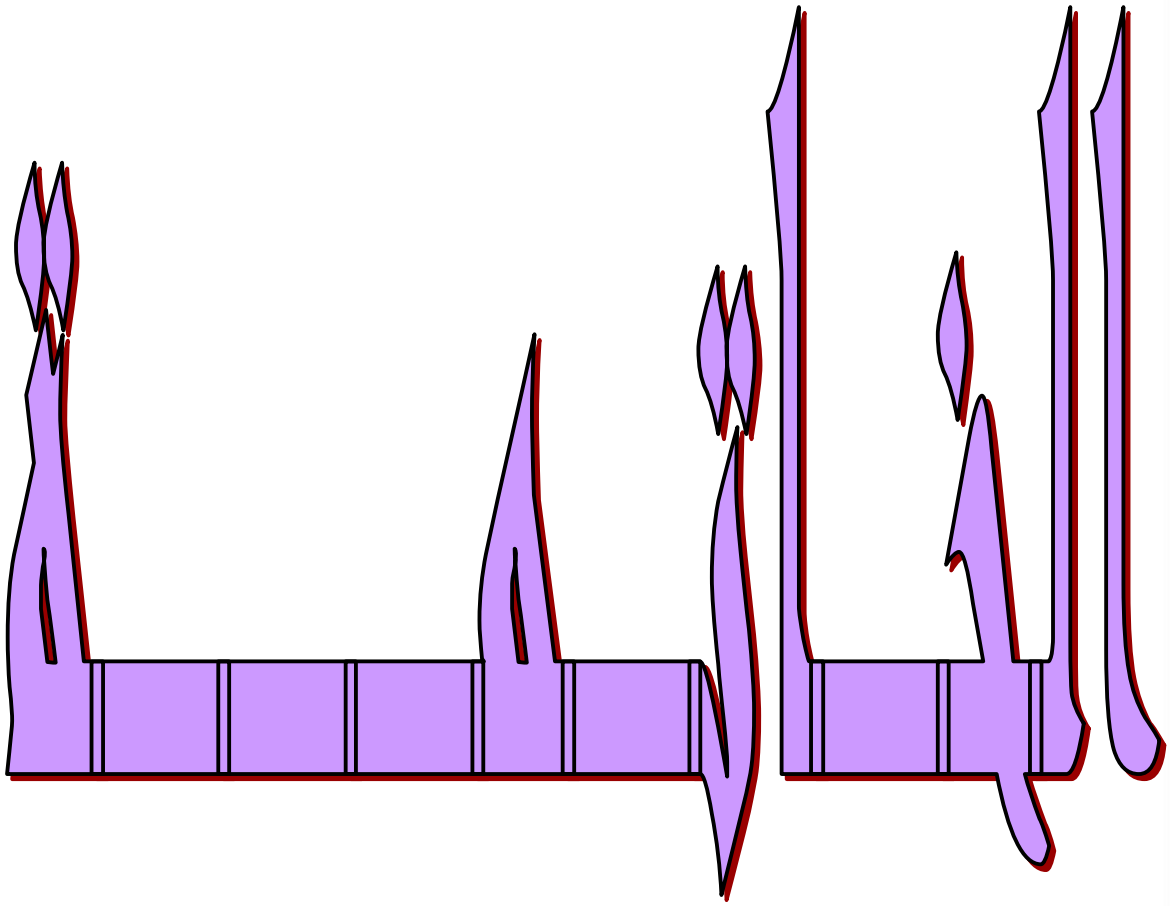
الخاتمة

وبعد هذه الدراسة للجوانب العديدة لظاهرة الإعراب وتطورها وتأثرها بالبيئة الإسلامية، وكيف أتبعت في كتاب الله عز وجل، أود أن أعرض نتائج هذه الدراسة بإيجازها في النقاط التالية:

* لقد نشأ الإعراب بعد أن نشأت اللغة وبلغت كمالها متمثلة في تكوين الجمل التي هي مجال الإعراب، فالإعراب إذن يمثل قمة التطور اللغوي مصورا في تكوين الجمل التامة، ويمثل أيضا قمة التطور الحضاري والاجتماعي، لأن كتابة لغة معربة أو النطق بها يتطلب ذهنا واعيا وعقلا ناميا ليطابق بين المعاني التي في نفس الإنسان وبين الرموز التي على أواخر الكلمات المنطوق بها، تلك الرموز التي تدل على ما يريد إظهاره من المعاني.

* والإعراب اصطلاحي من صنع المجتمع تطور بتطوره، ولم ينشأ دفعة واحدة، بل تكونت أحكامه بالتدريج شأنه في ذلك شأن أي علم آخر، وإذا كنا نجده متكاملا في الشعر الجاهلي فإننا نجهل التفاصيل الدقيقة التي مرت بها أحكام الإعراب حتى وصلت إلى هذه الدقة المتناهية التي نراها في ذلك الشعر.

* وتعليل ذلك عندي عن تطور هذه الظاهرة أنها مشبهة مثل الكائن الحي، فكما أن هذا الأخير يولد صغيرا ثم ينمو ويترعرع حتى يبلغ أشده، ثم لا يلبث أن ينحدر فيصيبه الكبر ومع الكبر يصيبه الوهن والضعف، كذلك اللغة تولد ألفاظا مبهمة ثم تتضح هذه الألفاظ ثم تتكون الجمل، وتبلغ اللغة أشدها عندما تعرب هذه الجمل. وبعد ذلك تميل إلى الانحدار ويتمثل هذا الانحدار في التحلل من الإعراب.

* كما هو معروف عند علماء اللغة إن اللغة العربية من خصائصها أنها معربة فهي تعتمد بالدرجة الأولى على الإعراب الذي يحدد الوظائف النحوية للمفردات ضمن التركيب ومعنى الإعراب– أصلا– هو الإظهار والتوضيح والخلو من اللحن فلو قال قائل: **زار محمدْ سعيدْ** بتسكين آخر الاسمين لا يستطيع المخاطب أو السامع أن يفهم مَنْ مِنَ الرجلين قام بالزيارة، ومن الذي تلقى الزيارة لكن الإعراب يرفع هذا اللبس ويعطي القدرة على التحرك والتقديم والتأخير فنقول: زال محمد سعيدا أو زار سعيدا محمد، فتميز علامة

الإعراب (الضمة)، أو ما ينوب عنها في حالات خاصة (كالتثنية والجمع) تميز الفاعل وتميز الفتحة، أو ما ينوب عن المفعول مع أن تغيير مواقع الكلمات في العربية يتم بموجب قواعد خاصة مثل تقديم المفعول على الفاعل أو الفعل والفاعل.

* فالإعراب إذن بغض النظر عن حدّه ومفهومه الاصطلاحي إذا كان لفظيا أو معنويا هو وسيلة لتحديد الوظائف النحوية التي عليها يتوقف الفهم والتواصل.

* وبالتالي إننا نعرب لنبين المعنى الوظيفي برفع أو نصب أو جر، ونشير إلى ذلك بعلامة صوتية هي الحركة الإعرابية، التي ترتبط بذلك المعنى النحوي، وتدل عليه فكما أن معاني الألفاظ (المعجمية) قائمة في الذهن يدل عليها بألفاظ صوتية، وكذلك معاني النحو يدل عليهـــا بعلامات صـــوتية هي علامات الإعـــراب وذلك حتما شأن المتكلم أولا، وإذا كانت الوظائف النحوية كثيرة ومتنوعة كما هو معروف في أبواب النحو، وعلامات الإعراب لا تعدو أن تكون (الفتحة، الضمة والكسرة) بالإضافة إلى السكون فقد أدى ذلك إلى استعمال علامة واحدة لأكثر من حالة إعرابية وإلى حصر الحالات الإعرابية الأخرى على هذه الحالات الثلاث، وحمل المبتدأ على الفاعل على أساس أن الرفع علامة الإسناد، ثم حمل الخبر على المبتدأ، وحملت كل المفاعيل بالإضافة إلى الحال والتميز والمستثنى علـــى المفعول به، وحمل المجـــرور بالحرف على المضاف إليه، بل إن هناك من جعل الحالات اثنتين الرفع علامة الإسناد والجر علامة الإضافة؛ أما النصب أو الفتح فهو علامة تميزه عن الرفع أو هو علامة ما لا علامة له أي أن العرب عندما لا يكون لاسم علامة إسناد، ولا علامة إضافة فإنه يحرك بالفتح، لأن الفتحة أخف من غيرها، كما أن السكون علامة سلبية في اللهجات العامية، أو عندما يخشى اللّحن فيلجأ إلى التسكين، أو كما يقال– **السكون عكاز الأعمى**– إن تميز المعاني النحوية لا يتوقف على الإعراب الذي تدل عليه علامات محدودة بصورة مطلقة، ولكن مع هذا فالإعراب نظام من أنظمة متعددة ضمن النظام العام للغة، يجعلها قادرة على تأدية وظائفها وأهمها الاتصال والتفاهم، بل يكون الإعراب في كثـــير من الأحيان هو النظام الوحيد للفهم والبيان.

* وبالتالي فقد احتفظت اللغة العربية الفصيحة بظاهرة الإعراب، وهي من صفات العربية الموغلة في القدم والمعنى هو الغاية المثلى والهدف الأساس للغة.

* وكل ما أرجوه بهذا البحث أن أكون قد أصبت شيئا من التوفيق في وضع أبرز ظاهرة في العربية الفصحى في موضعها الصحيح من إطار النظام النحوي، ليكون ذلك إسهاما في محاولة لفهم أسرار اللغة العربية الخالدة، وحسبي هذا غاية.

والحمد لله بدءا ومختتما، وعليه سبحانه قصد السبيل.

قائمة المصادر والمراجع

قائمـــــــة المصـــــادر والمراجـــــع

***القران الكريم برواية حفص عن عاصم**

1. إبراهيم القلاتي – قصة الإعراب (دار الهدى– عين مليلة (ط1)(2003)).

2. إبراهيم مصطفى – إحياء النحو (دار الآفاق العربية– مصر(دط) (دس)).

3. إميل بديع يعقوب – فصول في فقه اللغـــة (مؤســـسة حديثـــة للكتـــاب– طـــرابلس– لبنان(ط1)(2007)).

4. أحمد حاطوم– كتاب الإعراب محاولة جديدة لاكتناه الظـــاهرة (شـــركة المطبوعـــات للتوزيع والنشر– بيروت– لبنان (ط2)(1992)).

5. أحمد رضا العـــاملي – مولـــد اللغـــة (منـــشورات دار مكتبـــة الحيـــاة– بيـــروت– (دط)(1956)).

6. أحمد سليمان ياقوت – ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم (دار المعرفة الجامعية) (دط)(2003)).

7. أحمد المتوكـــل– الجملـــة المركبـــة فـــي اللغـــة العربيـــة (منـــشورات عكـــاظ – المغرب(ط1)(1988)).

8. توفيق بن عمر بلطه جي– كيف تتعلم الإعراب بطريقة ملونة ومبتكـــرة (دار الفكـــر المعاصرة– بيروت– لبنان(1983)(دط)).

9. الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر– البيان (والتبيين– تحقيق عبد السلام هارون (ط5) (1985)).

10. جرجي زيدان– تاريخ آداب اللغة العربية (دار مكتبة الحياة– بيروت– لبنـــان (دط) (1983) (دط)).

11. الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان تحقيـــق محمـــود شـــاكر– دلائـــل الإعجاز(مكتبة الخانجي(ط1)(1984)).

12. الجرجاني– أسرار البلاغة (لدار الميسرة– بيروت(ط2) (1983)).

13. الجرجاني القاضي علي بن عبد العزيز- الوساطة بين المتنبي وخصومه تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم علي محمد البجاوي (مطبعة عيسى البابي- مصر (دط)(1966)).

14. جميل علوش- الإعراب والبناء(دراسة في نظرية النحو العربي)(المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان(ط1)(1997)).

15. ابن جني أبو الفتح عثمان بن جني(ت392هـ) تحقيق محمد علي النجار(دار الكتب المصرية(دط)(1955))(تختلف الصفحة باختلاف المحقق والطبعة).

16. جودة مبروك محمد- الدرس النحوي عند ابن الأنبا ري (مكتبة الآداب 42 ميدان الأوبرا- القاهرة(دط)(2002)).

17. حليمة أحمد عمايرة- الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة (دار وائل للنشر والتوزيع(ط1)(2006)).

18. حنا مغالسة- النحو الشافي(مؤسسة الرسالة-بيروت-لبنان(ط3)(1997)).

19. ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد بن خلدون-مقدمة ابن خلدون تحقيق علي عبد الواحد وافي((ط2)(1967)).

20. رشيد بلحبيب- ضوابط التقديم وحفظ المراتب في النحو العربي (دار النشر والطبع بوجدة- المغرب(ط1)(1967)).

21. الزبيدي- طبقات النحويين واللغويين تحقيق أبو الفضل إبراهيم((ط)1954)).

22. الزجاجي- الايضاح في علل النحو- تحقيق مازن المبارك (دار النفائس- بيروت (دط) (ط2)(1974)(1986)).

23. زين كامل الخوسيكي- قواعد النحو والصرف (دار المعرفة الجامعية(ط1)(2005)).

24. سالم علوي- وقائع لغوية وأنظار نحوية(دار هومة للنشر (الجزائر(دط)(دس)).

25. السيوطي جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر- الأشباه والنظائر- تحقيق محمد عبد القادر فضلي(المكتبة العصرية- بيروت- لبنان(ط1)(ج1)(1984)).

26. شوقي ضيف- تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي(دار المعارف- القاهرة- مصر(ج1)(ط6)(1984)).

27. صبحي صالح- دراسات في فقه اللغة(دار علم للملايين(ط1)(1990)).

28. طلال علامة- نشأة النحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة (دار الفكر اللبناني(ط1)(1992)).

29. أبو الطيب اللغوي- مراتب النحويين تقديم وتعليق محمد زينهم محمد غرب (دار الآفاق العربية(دط)(2003)).

30. عباس حسن- النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة (دار المعارف- القاهرة- مصر(دط)(1960)).

31. عامر السامرائي- أداء في العربية(دار النشر والتوزيع(دط)(دس)).

32. عبد الله أحمد جاد الكريم-معنى والنحو(مكتبة القاهرة ميدان الأوبرا- القاهرة(دط)(2002)).

33. عبد الله البستاني-الوافي في النحو(مكتبة لبنان-ساحة رياض الصلح-بيروت- لبنان(دط)(1990)).

34. عمر بن عثمان بن قنبر-الكتاب تحقيق عبد السلام هارون (دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان(ط1)(1966)(1977))(تختلف الصفحة باختلاف الطبعة والمحقق).

35. عبد القادر حسين- أثر النحاة في البحث البلاغي(دار النهضة مصر- القاهرة(دط)(1975)).

36. عبد الهادي الفضلي- مختصر النحو(دار الشروق-جدة-المملكة السعودية(ط9)(1984)).

37. القاسم بن علي محمد الحريري البصري- شرح ملحة الإعراب تحقيق وتعليق بركات يوسف هبود(المكتبة العصرية- صيدا- بيروت(دط)(2001)).

38. محمد حماسة عبد اللطيف- العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث(دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع-القاهرة مصر-(دط)(2001)).

39. محمد خير الحلواني-الواضح في النحو(دار المأمون للتراث بيروت- لبنان(ط5)(1997)).

40. محمد خير الحلواني- المفصل في تاريخ نشأة النحو العربي (مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان(ط1)(دس)).

41. محمد عبد العزيز وشرف محمد عبد المنعم خفاجي- النحو العربي لرجال الإعلام(دار الجيل بيروت-لبنان(ط1)(2001)).

42. مصطفى الغلاييني- جامع الدروس العربية المكتبة العصرية- بيروت (ط7) (ج1)(2004)).

43. أبو منصور بن حيان-شرح الفصيح للغة العربية تحقيق عبد الجبار(وزارة الثقافة والاعلام- بغداد(ط1)(1991)).

44. ابن الناظم أبو عبد الله بدر الدين محمد بن جمال الدين-شرح ألفية ابن مالك تحقيق عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد(دار الجيل بيروت-(دط)(دس)).

45. ابن هشام جمال الدين أبو محمد بن عبد الله بن يوسف الأنصاري-شرح شذور الذهب تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد(دار الثقافة القاهرة(دط)(دس)).

46. ابن هشام جمال الدين أبو محمد بن عبد الله بن يوسف الأنصاري شرح شذور الذهب تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (دار الثقافة القاهرة-(دط)(دس)).

47. يوسف بكوش-مرشد الطلاب في النحو والإعراب(دار هومة الجزائر (ط1) (2003)).

* المعاجـــــم العربيـــــــة *

1. بطرس البستاني محيط المحيط(مكتبة لبنـــان- دار النـــشر ريـــاض الـــصلح- بيروت- لبنان(ط1)(دس)).
2. الرازي- مختار الصحاح(مكتبة لبنان- ســـاحة ريـــاض الـــصلح- بيـــروت- (دط)(1986)).
3. الزمخشري جاد الله محمود بن عمر بن محمد- أساس البلاغـــة تحقيـــق عبـــد الرحيم محمود(دار المعرفة-بيروت(دط)(1982)).
4. مرتضى الزبيدي- تـــاج العـــروس- دراســـة وتحقيـــق علـــي شـــبري (دار الفكر(دط)(1994).
5. ابن يعيش موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي- شرح المفصل-(عالم الكتب- بيروت- لبنان(دط)(دس)).

<u>المواقـــــع الالكترونيـــــة:</u>

الموقع الإلكتروني: الأستاذ يحي غوردو –

.http://www.wata.cc/forums/showthread.php?21439

الفهرس

الفـــــــــــــــهرس

شكـــــر وعرفان

الإهـــــــــداء	
مقدمـــــــــــة	-أ-
المـــدخـــــــــل	7
الفصـــــل الأول: ظاهرة الإعراب اتجاه نحو الخاصة واللغة عامة	
1- نشأة اللغة والنحو العربي	**18**
2- نشأة الإعـــــراب	**22**
3- ماهية الإعـــــراب لدى القدامى	**25**
4- ماهية الإعـــــراب لدى المحدثين	**29**
5- علامـــــات وأنواع الإعـــــراب	**30**
6- الاختلاف الظاهر بين كل من الإعـــــراب والنحو	**37**
7- أهمـــــية الإعـــــراب	**42**
8- آراء بعض النحاة في الإعراب	**48**
الفصـــــل الثاني: التطور التاريخـــــي لظاهرة الإعـــــراب	
1- الإعـــــراب بالسليقة والفطرة	**53**
2- الإعـــــراب بين التقعيد والجمود	**57**
3- الدعـــــوة إلى إلغاء الإعـــــراب	**68**
الفصـــــل الثالث: وظيفة الإعـــــراب في الدرس اللغوي العربـــــي	
1- الوظيفة البـــــلاغية الإعراب في بيان المعـــــــاني	**77**
2- دور الإعـــــــراب في حرية الرتبة من خلال التقديم والتأخيـــر	**83**
3- أمـــن اللبس والترخـــــص في الإعـــــــراب	**99**
الخـــــاتمـــــــة	**109**
قائـــــــمة المصـــــادر والمراجـــــع	**113**

الفـــــهرس

ملخص

1- إن المعنى اللغوي لكلمة الإعراب هو الإفصاح والإبانة.

2- إن المعنى الاصطلاحي لإعراب عند النحاة القدامى والمحدثين لا يخرج على انه الفارق بين المعاني.

3- الإعراب هو تغير العلامة التي في آخر اللفظ بسبب تغير العوامل الداخلية عليه.

4- الفرق بين النحو والإعراب هو الفرق الكل والجزء .

5- الإعراب مر بثلاث مراحل وهي:

أ- مرحلة العفوية والفطرة الإلهية التي فتقت العبقرية العربية.

ب- مرحلة التعقيد والجمود وهي مرحلة التنظير والتأسيس.

جـ- مرحلة إلغاء الإعراب وهي تتمثل في ادعاء بعض المعوضين صعوبة الإعراب وعدم منطقيته.